السبت 22 آب 2020
العدد 4129 السنة الخامسة عشرة
Samedi 22 Août 2020 no 4129 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

محمد علي شمس الدين
في البدء كانت فلسطين

رواية رحلة باخرة النيترات من جورجيا إلى بيروت [6]

لا حكومة في الأفق [2]

سلامة «يكتشف»: لا دولارات لديّ!

[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

الأخبار
اشترك في جريدة الأخبار لمدة 4 أشهر
بـ 100,000 ل.ل.
يستمر العرض من تاريخ 19 آب 2020 لغاية 10 ايلول 2020
كما تكونون تكون الاخبار
Tel:01 759500
subs@al-akhbar.com

المشهد السياسي

لا حكومة في الأفق

لا حكومة في الايام المقبلة. ولا توافق على اسم الرئيس وبرنامج عمل حكومته: تلك هي اجواء الاجتماعات السياسية في الاسبوع الماضي. في المقابل، يستمر الفيتو السعودي على عودة سعد الحريري. الا بشروط خاصة ابرزها عدم تمثل حزب الله في اي تشكيلة مقبلة

(مروان بوحيدر)

بخلاف الأجواء الإيجابية التي شاعت الأسبوع الماضي بشأن التوافق على تأليف الحكومة في وقت قريب، لم تقد الاجتماعات السياسية الأخيرة الى أي تقدم في المفاوضات، وبالتالي ما زالت كل الأمور عند النقطة الصفر. الأحزاب التي سبق لها التوافق على حكومة حسان دياب وقبله سعد الحريري، وفشلت في الحكومتين، تحاول اليوم مجدداً تأليف حكومة. لكن مجموعة من الخلافات تؤخر هذا الاتفاق، أولها على اسم رئيس الحكومة المقبل، ثانيها شكل الحكومة و«طبيعة» وزرائها، ثالثها

سيعقد اجتماع بين الخليلين وباسيل لإعداد ورقة «المهمات الملقاة على عاتق الحكومة»

برنامجها. يحصل ذلك في ظل غياب كلمة مرور أميركية واضحة بعد في ما خص اسم الرئيس المقبل، في ظل فيتو سعودي على سعد الحريري. «السلبية» خيّمت أيضاً على الاجتماعات السياسية الأخيرة، ومن صمنها لقاء عين التينة أمس الذي جمع رئيس مجلس النواب نبيه بري برئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، وانضمّ اليه المعاون السياسي للأمين العام لحزب الله حسين الخليل والمعاون السياسي لبري علي حسن خليل. فغيما يتمسك بري بعودة الحريري من منطلق أن «المرحلة استثنائية وتستوجب وجوده من أجل الإنقاذ واتخاذ القرارات»، مشيراً الى ضرورة تأليف حكومة اليوم قبل الغد، يرفض باسيل هذا الطرح بناءً على تجربته السابقة مع الحريري، ويصرّ على «تحديد برنامج عمل الحكومة الجديدة ومهمتها السياسية والإصلاحية» قبيل الانتقال الى اسم الرئيس.

وعليه، أكد المجتمعون استكمال المشاورات والاتصالات، وسط تأكيد لرفض اسم نواف سلام. وجرى الاتفاق على تحديد ما هو المطلوب من الحكومة، وعلى ضوئها يصار الى الانتقال نحو النقاش بباقي التفاصيل. لذلك، سيعقد اجتماع ثنائي في الأيام المقبلة بين الخليلين وباسيل لإعداد ورقة «المهمات الملقاة على عاتق الحكومة»، بعد أن اعتبر بري أن الثلاثة باستطاعتهم التوافق عليها خلال يومين أو ثلاثة. وعلمت «الأخبار» أن اللقاء تطرق الى «ورقة المطالب الفرنسية»، من دون الغوص في التفاصيل، لكن الأكيد أن الأطراف المجتمعين عبّروا عن رفضهم ما نصت عليه الورقة، لأسباب مختلفة. من جهة أخرى، تشير مصادر مطلعة إلى أن إصرار بري على حكومة سياسية أو «تكنو سياسية»، غير مرغوب فيه من جانب الحريري نفسه.

فالأخير متمسك بالشروط التي أعلنها غداة استقالته بعد انتفاضة 17 تشرين، أي حكومة يؤلفها بنفسه من دون عودة الأقطاب السياسيين. وتلك شروط مطلوبة سعودياً لرفع الفيتو عن الحريري. فالرياض، ما زالت غير راضية عن أداء الحريري، وهو ما يعبّر عنه كل من رئيس الهيئة التنفيذية في القوات اللبنانية سمير جعجع وبدرجة ثانية رئيس الحزب الاشتراكي وليد جنبلاط. وتشترط معمودية سياسية لقبوله مجدداً، فيما هو غير قادر على تحقيق المطلب الرئيسي بعدم تمثل حزب الله في التشكيلة المقبلة، وغير قادر أيضاً على العودة بوجود الفيتو السعودي. أما عون، «فلن يفرّط في ورقة التكليف على أبواب نهاية عهده قبيل التأكد من جدية المكلّف وعزمه على التأليف في فترة قريبة». وتشير المعلومات الى أنه تم التطرق الى مجموعة أسماء يُعتقد أنها مقبولة شعبياً، من دون أن يتم التوافق على أيّ منها، وفي ظل رفض الأسماء المطروحة نفسها قيادة حكومة في وضع منهار كوضع البلد الحالي.

من جهة أخرى، لا حسم أميركياً بعد أو «ضغط» لصالح اسم معين لرئاسة الحكومة المقبلة. كذلك تشير المصادر الى أن باريس تستمر في الضغط على مختلف الجهات المانحة لعدم منح أي مساعدات للدولة اللبنانية بل الى المنظمات الدولية والمجموعات المدنية. وأتى تصريح المنسّق الخاص للأمم المتحدة في لبنان يان كوبيش يوم أمس ليلاقي الاستراتيجية الفرنسية. فبحسب كوبيش «الاختيار واضح: إمّا المساعدة الدولية العاجلة المرتكزة على احتياجات السكّان المتضرّرين، أو السماح لحيتان العقارات بقتل قطعة مهمّة من قلب بيروت، قلب لبنان». وأضاف: «إمّا أن يُبادر المجتمع الدولي بصورة فوريّة إلى المساعدة في تأهيل المنازل المهدّمة وإعادة تزويدها بالخدمات الأساسيّة من مياه وكهرباء في الأحياء الّتي دُمّرت بسبب انفجار ميناء بيروت، أو ستواجه بيروت خطر فقدان جزء من تاريخها وتراثها المعماري وطابع أحيائها القديمة إلى الأبد».

(الأخبار)

ابراهيم الأمين

لا مجال للمجاملات!

الميت لا يشعر بشيء. الناس من حوله يبكون أو ينهارون، فيما هو في سكون. لكن الغبي ايضاً، لا يشعر بشيء. الناس من حوله يتعبون وينهكون، فيما هو في هبله غريق!

اليوم، يعيش لبنان عوارض الصدمة الجماعية. الناس الذين أصابهم الموت قتلاً أو جوعاً أو إهمالاً أو قهراً، لا يريدون تغيير عاداتهم. يتعب اللبنانيون في تحصيل العلوم لهم ولأبنائهم. لكنهم اكثر من أجاد تعطيل العقل في اللحظات المصيرية. اللبناني الذي يسافر الى العالم البعيد، هرباً من الظلم والقهر، لديه فرص جدية للنجاح كفرد. لكن السؤال المحيّر هو عما يعيده في لحظته اللبنانية الى كل جنونه وأحقاده وتوتره.

الفيلم اللبناني الطويل لا يمكن تقييمه من زاوية علمية. ذات يوم، سأل فنانون مخرجاً إيطالياً رائداً عن رأيه في نجاح مسلسل رديء بكل تفاصيله، من حواره الى تصويره الى ممثليه الى إخراجه، فقال لهم: في هذه الحالة، اقصدوا عالم نفس او عالم اجتماع!

في حالة العبث والجنون المستند الى أحقاد وعقد شخصية، لا

> **لا مجال لمناقشة اي صنف من البشر يعيشون على اخبار المنجّمين، ولا مجال لاستفتائهم في اي امر جلل**

مجال لأي نقاش منطقي. في حالة العقلية الثأرية التي تسكن الناس، جماعات قبلية أو حتى أفراداً يشكلون مافيات بألف عنوان، لا يبقى مجال لحوار مثمر.

كيف لعقلك ان يعمل مع أستاذ اقتصاد يسألك بدهشة: ترى متى يعود سعر الدولار الى ما كان عليه؟ او مع طبيب متمرس بالعلم، يسألك عن خبر لم يتعب نفسه في تحديد مصدره؟ كيف لك ان تدخل في حوار مع أستاذ جامعي يمضي نهاره في تدريس خطر الأخبار الزائفة، ثم يطلق موقفاً سياسياً استناداً الى تقدير وضع سياسي فاشل؟ وكيف لك أن تتعامل مع سياسي يخرج من تحت انقاض أفكاره وحزبه، ليعيد صياغة رؤيته الفاشلة ويتلوها على الناس كأنها نص مقدس؟ كيف لك ان تتعامل مع تاجر فاجر، خالف كل القوانين، وبنى ثروة على حساب الحق العام وصحة الناس، ثم يخرج على شاشة شاكياً الفساد وغياب القانون؟

في لبنان اليوم، حفلة من الجنون غير المسبوق. تخرج حثالة، تسمّي نفسها مجموعات مدنية، لتمنح نفسها «الشرعية الشعبية»، وتقرر أن تحول غضب الناس على سلطات وأنظمة وقوانين ومسؤولين يمثلون عصب الفساد، الى فعل أعمى هدفه تدمير فكرة الدولة. ويصبح الشعار: المنظمات الاهلية غير الحكومية هي المؤتمنة على الإنفاق العام في البلاد... هكذا ببساطة. تقرر حفنة من عملاء «الصناديق السوداء» لكل مخابرات العالم، انها هي من يقرر اذا كان هذا اهلاً لمنصب او ذاك مناسباً لدور. وهكذا، يتحول مرابون، ورجال اعمال لا يعرفون غير مخالفة القوانين ومحاباة السلطات النافذة، الى اصحاب محطات تلفزيونية، ويقررون التحكم في ذوق الناس السياسي والثقافي والفني والاجتماعي، وفوق ذلك، يقيمون المحاكم ليرفعوا من شأن فلان أو يطيحون آخر. ولا بأس بختام بثّهم بالنشيد الوطني وخرافات سعيد عقل!

هكذا، من دون أي عقل أو علم، يراد للبلاد أن تكون على شاكلة من دمرها طوال عقود. من عائلات إقطاعية لا تزال تتحكم في نصف أراضي لبنان، وأمراء حرب تحولوا الى زعامات طائفية مقيتة لا يزالون يقاتلون لتجديد النظام المشكلة، وعصابات تضع بالقرب من أسماء أفرادها لقب رجال أو رواد أعمال، تسرق كل ما تراه العيون. الى رؤساء سلطات دينية اخترعها وثبتها الاستعمار، لا يزالون حاملين مفاتيح الجنة ليهددوا بها الفقراء والمساكين، ثم يطلقون تصورات استراتيجية لبناء الدولة والاقليم أيضاً.

هكذا، يقرر حفنة من المزورين حقيقة تناسبهم. هؤلاء هم الذين لم يتعبوا من الحديث عن «حروب الآخرين» على أرضنا، وهم انفسهم الذين باعوا انفسهم للشيطان ألف مرة، وهم انفسهم الذين يتولون تزوير الوقائع والحقائق منذ توليهم الشأن العام. فعلوا ذلك في حضرة أميركا وفرنسا وإسرائيل والسعودية ومنظمة التحرير الفلسطينية. هؤلاء من حكموا العباد بسيف سوريا ثم قادوا انقلاب عام 2005، ثم ألفوا مسرحيات التحقيق المحلي والدولي في جريمة اغتيال رفيق الحريري... هؤلاء أنفسهم، يريدون تكرار الأمر، ويريدون لنا أن نترك لهم إدارة مسرح السياسة والأمن والقضاء والدستور لتقرير مصير اللبنانيين باسم السيادة أو الحرية أو القانون.

هكذا، يستفيق كل أعضاء هذا النادي، المنتشر كالفطر بين البيوت والأحياء، لإذكاء عصبيات قائمة على فكرة الخوف من الآخر، ودافعة لمزيد من الانعزال والتقوقع الطائفي والمذهبي، ويسعون الى توترات تكلف دماءً ومالاً، لانهم يُصرّون على البقاء، ولأنهم يعتقدون أن لا داعي لبقاء الهيكل إن كانوا خارجه، ولأنهم لم يجدوا يوماً من يحاسبهم بأن يجرهم خلف حمير تجوب بهم شوارع البلاد. لكن الأنكى، أن غالبية معتبرة من الناس، تلحق بهم، وتردد اكاذيبهم، وترفض التدقيق في ما يقولون. والأخطر، أن جيلاً جديداً يُظهر حماسة للذهاب بعيداً في هذه المغامرة، الى حدود الاستعداد لحرب أهلية جديدة. ولأن البلاد تعيش على وقع هذا النمط اليوم، ولأن الحياة تعلّمنا أن «من جرّب المجرّب يكون عقله مخرباً» على ما يقول المثل الشعبي، فإن من الافضل عدم المشاركة في حفلة التكاذب القائمة. فلا داعي لأي مجاملة أو مداراة، ولا مجال لكل نفاق عن لبنان الرسالة والعيش المشترك والجسر الذي يربط الشرق بالغرب، ولا مجال لمناقشة أي صنف من البشر يعيشون على أخبار المنجّمين، ولا مجال لاستفتائهم في أي أمر جلل.

لأن البلاد على هذا النحو، ولأن أهل الموت يجدون سوقهم رائجة هذه الايام، ولأن الحقد يسيطر على كل العقول، فما على الناس الا حصد ما يزرعون. وعلى الاغبياء، الذين ارتضوا السير خلف مجموعة من المجرمين والمجانين، أن يتحملوا مسؤولية خياراتهم، وأن يستعدوا لدفع الأثمان الباهظة متى قرروا القفز نحو الهاوية. ففي هذه الحالة، سيكون مجنوناً وبلا عقل، من يسمح لهؤلاء بالتجريب مجدداً. ومهما علا صراخ المحتضرين، فإن من يرغب في فهم موقعنا وموقفنا، ليعرف الآتي:

المقاومة هي قدرنا، بسلاحها، على أنواعه وأحجامه وأماكن انتشاره. وعائلاتنا هي المقاومون على اختلاف أعمارهم ورتبهم وأدوارهم. ومصيرنا مرتبط بمحورنا على مختلف ساحاته وجبهاته، وهدفنا الاول هو تحرير كل فلسطين ولو بشق الأنفس، وكل من يريد التخلص منّا، فما عليه الا الاستعداد للمنازلة تلو المنازلة، الآن وغداً وفي أي وقت!

في الواجهة

عون لا يُجري استشارات ملزمة إلا بضمانات مسبقة

نقولا ناصيف

مذ طُرح اسم الرئيس سعد الحريري مرشحاً محتملاً لتأليف الحكومة الجديدة، كثرت من حوله لاءات أفرقاء اساسيين في الداخل والخارج، فيما لا نعم صريحة بعد الا واحدة يحملها رئيس مجلس النواب نبيه بري، ويؤيده فيها حزب الله. منذ غداة استقالة الرئيس حسان دياب في 10 آب، لا سجال سوى من حول سؤال يتيم هو: لماذا يعود الرئيس سعد الحريري الى السرايا؟

المعلن في المشاورات الدائرة هو الخلاف القائم بين الثلاثي، المعني مباشرة بالتكليف، مع انه اختصاص مزدوج: رئيس الجمهورية يدعو الى استشارات نيابية ملزمة، والغالبية النيابية صاحبة القرار الحصري في تسمية الرئيس المكلف. كلاهما مدرجان في المادة 53 من الدستور. اما واقع الحال فمختلف: رئيس الجمهورية ميشال عون، ومعه حزبه التيار الوطني الحر وحلفاؤه كأكبر كتلة في البرلمان برفضان الحريري، والثنائي الشيعي يؤيده بحماسة، فيما الشخصية التي يدور الجدل من حولها وهي الحريري نفسه تريد ولا تريد، تتدلع وتتكابر، متهافتة ومشترطة في الوقت نفسه. الفريقان الأولان يمثلان الغالبية النيابية في البرلمان صاحبة الكلمة الفصل في ترئيس الحريري كما في اقصائه، بينما الفريق الثالث يتسلح بكونه الأكثر تمثيلاً في طائفته والأقوى فاعلية كي يرضى او يرفض او يطعن في شرعية مَن يحل في رئاسة الحكومة، مع أن ثمة افرقاء آخرين ذوي حيثية سياسية وشعبية، بيد انهم في المرحلة الحالية لمناقشة التكليف يُبدون على الهامش، ولا يُسألون بالضرورة رأيهم: وليد جنبلاط وسمير جعجع غير متحمسَيْن للحريري مع ان البعض يعتقد ان مفتاح موقف الاول عند بري، غير انهما يوهمان الآخرين انهما حليفاه، وسليمان فرنجيه يفضل الحريري.

على نحو كهذا، فقد مجلس النواب تماماً اختصاصه في تسمية الرئيس المكلف، وإن كانت الغالبية المرجحة في يد قوى 8 آذار. مجرد قصر التشاور على ذلك الثلاثي علق عملياً تنفيذ المادة 53، ووضع التكليف في مهب مقاربة كل من افرقاء الثلاثي شروطه:

1 - بعدما كانت وجهة نظر رئيس الجمهورية رفض ترئيس الحريري الحكومة الجديدة، مع لاء مطلقة، اضحى موقفه الآن اكثر مرونة من غير ان يكون نهائياً او قاطعاً: لاء... ولكن. بات الرئيس يتحدث عن ضمانات يطلبها سلفاً من الحريري كي يوافق . وحزبه والكتلة النيابية الأكبر . على وصوله الى السرايا. وهي المرة الاولى في عمر الاستحقاق منذ اتفاق الطائف، يُثار كلام عن ربط التكليف بالضمانات. في الحقبة السورية، أياً يكن رئيس الحكومة، بما في ذلك الرئيس رفيق الحريري بالذات، تقيم الضمانات في تركيبة الحكومة وتوازناتها والغالبية الموصوفة التي تمسك بها دمشق، المعوّل عليها للسيطرة ليس على السلطة الاجرائية - وهو الاساس - بل ايضاً على رئيسها.

منذ ما بعد اتفاق الدوحة عام 2008، من غير ان تكون سوريا حاضرة في لبنان ولا في المشاورات ولا مديرة لها، انتقلت الصلاحية الى القوى التي ورثت الدور السوري، الثنائي الشيعي وتيار المستقبل وجنبلاط وعون وتياره، التي اضحت مشاركتها في الحكومة وحصصها وحقائبها وتسميتها هي وزراؤها والنصاب الموصوف سلة الضمانات التي ينشأ عنها . وعنها دون سواها . تأليف الحكومات المتعاقبة. وقتذاك لم يُثر مرة في الحكومات السبع التي اعقبت اتفاق الدوحة بما فيها حكومة دياب، ولم يؤتَ على ربط الضمانات بالرئيس المكلف، بل استمر استنساخ الطبعة السورية: الحكومة ليس من ان يكون الضابط الفعلي لأداء الحكومة ومسارها. مغزى ذلك ان تؤول الحصة تلك او معظمها اليه وحده من جهة، ووضع وزرائه في الحقائب التي يتمسك بها على الدوام كالخارجية والدفاع والطاقة والعدل من جهة أخرى. يُنظر الى تريث عون في توجيه الدعوة الى الاستشارات النيابية الملزمة، من غير مهلة مقيّدة بمقدار ما يربط الحريري، المتمسك على الدوام بإبعاد الشبهات عن مصرف لبنان والهيئة العليا للاغاثة ومجلس الانماء والاعمار. الاول انجده في الهندسات المالية، والاخران يقعان تحت يديه. مع ان ضماناً كهذا يُعدّ انتزاعه منه تعجيزياً، بيد انه يعني ستكون عند الرئيس على نحو يمكنه من ان يكون الضابط الفعلي لأداء الحكومة ومسارها. مغزى ذلك ان تؤول الحصة تلك او معظمها اليه وحده من جهة، ووضع وزرائه في الحقائب التي يتمسك بها على الدوام كالخارجية والدفاع والطاقة والعدل من جهة أخرى. يُنظر الى تريث عون في توجيه الدعوة الى الاستشارات النيابية الملزمة، من غير مهلة مقيّدة لها وهو الأب الاول لهذا العرف، على انه في صلب ممارسته صلاحياته الدستورية بالوصول الى حكومة تراعي التوازن السياسي والتمثيلي، وليس المناصفة الطائفية فحسب.

ثاني البنود تلك، وقد يكون اعقدها واصعبها، هو حصوله من الشخصية المرشحة للتكليف - واكثر المعنيين هو الحريري - على ضمانات بإجراء التدقيق الجنائي في مصرف لبنان الذي قررته الحكومة المستقيلة ولم توقع عقده، وكذلك شمول هذا التحقيق المزاريب الرهيبة لإهدار المال العام وسرقته ونهبه: مجلس الانماء والاعمار، الهيئة العليا للاغاثة، مجلس الجنوب، صندوق المهجرين. مقدار ما يسهل انتزاع ضمان كهذا من اي مرشح للتكليف ما خلا الحريري، مقدار ما يربك الحريري، المتمسك على الدوام بإبعاد الشبهات عن مصرف لبنان والهيئة العليا للاغاثة ومجلس الانماء والاعمار. الاول انجده في الهندسات المالية، والاخران يقعان تحت يديه. مع ان ضماناً كهذا يُعدّ انتزاعه منه تعجيزياً، بيد انه يعني عند الحريري اشبه بمَن يقتطع بسكين مسنون جزءاً من قلبه او كبده او بطنه.

3- يعزو رئيس مجلس النواب تمسّكه بالحريري مرشحاً وحيداً لرئاسة الحكومة الى نظرته الى الموقع، وهو انه سياسي بامتياز، لا يسع ان يحل فيه الا الاكثر تمثيلاً في طائفته، وهي حال الرئيس السابق للحكومة. لم يعد احد يسمع بري يصرّ على حكومة الوحدة الوطنية كخيار اوحد - وهي كذلك في قرارة نفسه - بل يتوسّع في تقدير موقفه للحكومة الجديدة. ما دام الحريري رئيسها لم يعد مهماً مَن فيها سياسيين او اختصاصيين او مختلطة من الاثنين. لا يمانع في ان تكون من اختصاصيين حتى ما يسمعه منه المتصلون به، انه يناقش تأليف الحكومة ببراغماتية ناجحة عن ان المنطقة تمر في مرحلة قطع رؤوس، يقضي ان ينجو لبنان بنفسه منها. يقول انها صعبة، ووجود الحريري على رأس الحكومة يقلل الاخطار والاضرار.

لحزب الله موقف مطابق لوجهة نظر بري، أخذاً في الاعتبار عاملاً اضافياً، هو اصراره على رئيس للحكومة يمنع ايقاظ الفتنة السنّية - الشيعية، بعدما استبقت اخيراً صدور قرار المحكمة الدولية اشارات لمحت الى افتعالها. المهم في ما قاله الحريري - من غير الذي توجّه به الى جمهوره لاستيعاب نقمته وصدمته من القرار - هو تشبثه برفض الفتنة. الموقف المقابل للحزب، انه لا يريد ان يجد نفسه يوماً يواجه فتنة كهذه، ولا ان يكون مضطراً الى اطفائها بالقوة.

على الغلاف

سلامة «يكتشف» المتوقّع منذ سنين: لا دولارات لديّ!

مصرف لبنان بدأ الخطوات العملية للتخلي عن دعم السلع الأساسية. أرسل الحكومة لإبلاغها بأن الاحتياطي لديه يكفي لثلاثة أشهر فقط. فاتحاً النقاش مجدداً بالبدائل. ذلك يفتح الباب أمام عودة النقاش في الأولويات. هل يترك الشعب اللبناني ليصبح بأغلبه تحت خط الفقر، أم تبدأ عملية جدية لمواجهة إفلاس القطاع المصرفي، وفرض التوزيع العادل للخسائر؟ ما جرى سابقاً لا يبشر بالخير. فالوصول إلى حالة الإفلاس كان متوقعاً، لكن المعنيين، وعلى رأسهم حاكم مصرف لبنان، لم يقوموا بأي خطوة كان ينبغي القيام بها قبل سنين. لتفادي الحالة الراهنة

(عروات طحطح)

إيلي الفرزلي

عادت مسألة إلغاء الدعم عن السلع الأساسية لتطرح بقوة، بعد إبلاغ «مصدر رسمي» وكالة «رويترز» أن مصرف لبنان «لن يدعم الوقود والقمح والدواء لأكثر من ثلاثة أشهر أخرى، في ظل تناقص احتياطي العملات الأجنبية».

أول من مهّد لهذه الخطوة كان وزير الاقتصاد راوول نعمة. في حزيران الماضي كشف عن مسودة اقتراح لاستبدال تمويل مصرف لبنان عملية استيراد السلع الأساسية بالسعر الرسمي للدولار بآلية معقّدة، تعتمد على إعطاء الفقراء قسائم تعوّض الفارق بين السعر الرسمي وسعر السوق. اقتراح نعمة كان يضع موعداً افتراضياً لبدء التنفيذ في الأول من آب، إلا أن الأمر طُوي حينها، قبل أن يعود مع تحذير مصرف لبنان للحكومة من أنه لم يعد قادراً على توفير دعم الاستيراد لفترة طويلة، لأن الاحتياطي يكاد ينفد.

هذا التحذير كان أبلغه حاكم مصرف لبنان رياض سلامة إلى رئيس الحكومة حسان دياب، في الاجتماع

> **الحكومة تستعيد اقتراح قسائم الدعم: تحويل 55% من اللبنانيين إلى متسوّلين؟**

المالي الأخير في 30 تموز. في ذلك الاجتماع، الذي وُصف بأنه تضمّن خروجاً عن اللياقات في التخاطب، توجّه دياب إلى سلامة بالقول: «رياض نحن الاحتياطي بيكفينا ما هيك». فأجابه الأخير: «نعم، عنا مجال شي مليارين دولار». وعندما أوضح أن مجموع الاحتياطي المعنية، بما فيها ما صدر عن المستشار المالي للحكومة اللبنانية «لازار»، توحي أن لا دولارات لدى المصرف المركزي، أو على أقل تقدير، ثمة في ميزانية المصرف أموراً غير واضحة. هذا يقود إلى أن أحداً لا يمكنه الحسم فعلاً بأن مصرف لبنان لم يستعمل الاحتياطي الإلزامي للمصارف، فسلوك القطاع المصرفي برمّته، وعنوانه سرقة أموال المودعين، لا يوحي بأن هذه السرقة يمكن أن تتحول حرصاً على الاحتياطي الإلزامي. وهذا يقود إلى إمكانية أن تكون ميزانيته قد وصلت فعلاً إلى وضعية حرجة، ولم يعد لديه أي خيار سوى وقف الدعم، خاصة أن التدفقات المالية محدودة جداً.

قبل مراسلة الحكومة لإعلامها باقتراب نفاد الاحتياطي، سعى سلامة إلى استعمال خرطوشة القرض السريع من صندوق النقد. زار الولايات المتحدة للقاء إدارة الصندوق، مطالباً بإقراض لبنان ما يعادل الكوتا الخاصة به في الصندوق، والتي تصل إلى نحو 800 مليون دولار، (برنامج تدخّل سريع يتيح للدول الاستفادة من قروض بمقدار الكوتا الخاصة بها). لكن بحسب ما أبلغ سلامة جمعية المصارف في 19 آب، فإن المحاولة فشلت، ولبنان لن يتمكن من الاستفادة من الكوتا الخاصة به، إلا في إطار برنامج كامل مع الصندوق، مشروط باستدامة المديونية.

كل ذلك يقود إلى أن التوجه لوقف الدعم أو تعديله صار حتمياً. وعليه، يُتوقع أن يُصار الأسبوع المقبل إلى بحث الأمر تفصيلياً، لناحية البدائل. هل يتم تخفيض نسبة الدعم من 90 في المئة إلى 50 أو 40 في المئة؟ هل يعتمد سعر المنصة الإلكترونية (3900 ليرة) لكل السلع؟ هل يُلغى الدعم تماماً عن كل السلع ويستثنى الدواء، أم يكون إلغاء الدعم شاملاً؟ وإن كان كذلك، ما هي الفئات التي ستحصل على قسائم الدعم الموجّه، ومن يحددها؟

تلك مسألة معقّدة ومتشعّبة بحسب مصدر حكومي معنيّ. صارت نسبة الفقراء، بحسب دراسة لـ«اسكوا» نشرت منذ يومين، 55 في المئة من السكان، بعدما كانت في العام 2019 توازي 28 في المئة. فهل سيوجّه الدعم إلى أكثر من نصف الشعب اللبناني؟ هذه النسبة تعني عملياً أن العدد الإجمالي للفقراء يساوي 2,7 مليون شخص بحسب خط الفقر الأعلى المحدد من قبل المنظمة. هل ستلتزم الحكومة بهذا الرقم، الذي يعني أن كل من يتقاضى أقل من 3 ملايين ليرة شهرياً هو تحت خط الفقر؟ أم أنها ستذهب لاعتماد أرقام برنامج دعم الأسر الأكثر فقراً، الذي لم يعد صالحاً بعد استقالة الحكومة، بدأ حاكم مصرف لبنان رياض سلامة بتطبيق خطّته وخطّة المصارف بعيداً عن خطّة الحكومة ورؤية صندوق النقد الدولي. العصابة تسير قدماً في تنفيذ مخططاتها لتحديد الخسائر وإطفائها عبر الاستيلاء على الأملاك العامة وطباعة النقد وإفلات الليرة. بهذا المعنى، قد يكون من الأفضل الاستعداد للأسوأ، وخصوصاً بعدما تسرّب عن أن موجودات مصرف لبنان غير كافية لتغطية السلع المدعومة لأكثر من ثلاثة أشهر من دون المسّ بالاحتياطي الإلزامي الذي يفرضه قانون النقد والتسليف على المصارف مقابل ودائعها

محمد وهبة

يوم الأربعاء الماضي، انعقد اللقاء الشهري بين مصرف لبنان ولجنة الرقابة على المصارف وجمعية المصارف. في هذا اللقاء أبلغ حاكم المركزي، رياض سلامة، المجتمعين، بالخطوات التي سيقودها مصرف لبنان عبر إصدار تعميمين يختصّان في التعامل مع الأزمة لجهة تحديد الخسائر والية إطفائها. سيتم التفاهم على التعميمين في المجلس المركزي في ظل استقالة المدير العام للمالية الآن بيفاني الذي يعدّ أحد رموز خطة الحكومة المرفوضة من سلامة والمصارف بشكل مطلق. ففي الواقع، إن غالبية أعضاء المجلس المركزي المؤلف من نواب الحاكم الأربعة ومن مفوض الحكومة لدى مصرف لبنان والمدير العام لوزارة الاقتصاد، ليس لديهم الحدّ الأدنى من الخبرة المطلوبة في مجال تصميم وإدارة السياسات النقدية، لا بل إن معظمهم لا يدرك شيئاً مما يقوم به سلامة أو يخطّط له، بل من المرجّح أن بعضهم عبارة عن أتباع يشبهون الأتباع السابقين من نوابه.

بحسب المحضر الرقم 2020/171 فإن الالتزام بالخطوات التي تحدّد الخسائر والية إطفائها ستكون مقياس بقاء أو خروج أي مصرف من السوق. هذه الخطوات هي على النحو الآتي:

- على المصارف تكوين مؤونات للمخاطر التسليفية بنسبة 45% على توظيفاتها في سندات اليوروبوندز (60% صندوق النقد الدولي، 75% خطة الحكومة).
- على المصارف تكوين مؤونات لمواجهة مخاطر توظيف الأموال في سندات الخزينة اللبنانية بنسبة صفر في المئة (60% صندوق النقد الدولي، 40% الحكومة).
- زيادة الرساميل بنسبة 20% التي طلبها مصرف لبنان وأمهل المصارف حتى نهاية حزيران 2020 لتطبيقها (لم تطبقها غالبية مصارف «ألفا» بعد) حتى يكون لها أثر إيجابي في الخسائر المتوقعة على معدلات القروض المشكوك في تحصيلها.
- يطبّق مصرف لبنان معدل مخاطر 1,89 على توظيفات المصارف لديه بالعملات الأجنبية في حال إنشاء صندوق سيادي تسدَّد الدولة من خلاله ما تدين به لمصرف لبنان.
- إذا لم يتوفر الصندوق السيادي، يصبح معدل تثقيل المخاطر 9,45 على توظيفات المصارف لدى مصرف لبنان، على أن تؤخذ في الاعتبار آجال التوظيفات (أقل من سنة - أبعد من سنة).

إذاً، يراهن سلامة على إنشاء صندوق سيادي توضع فيه أملاك الدولة المهمة، مثل الاتصالات والعقارات والكازينو والمرفأ وربما مطار بيروت الدولي وشركة الميدل إيست وسواها من الشركات المنتجة للإيرادات، من أجل تمويل خسائر مصرف لبنان والمصارف. ستدفع الخسائر من هذا المال الذي بدلاً من أن يصبّ في خزينة الدولة لاستعماله في المشاريع الوطنية، سيصبّ في جيوب جهنّة من المصرفيين الفاشلين عبر قناة مصرف لبنان.

ما هي سيناريوات الإفلاس المصرفي إذا أنشئ الصندوق السيادي أو لم ينشأ؟

تقول المعطيات التي حصلت عليها «الأخبار» (راجع ملحق «رأس المال»)، الإثنين 20 تموز 2020: «نموت نموت وتحيا المصارف»، أن لجنة الرقابة على المصارف أجرت عدداً من السيناريوات بشأن معدلات الرسملة المطلوبة من المصارف في ضوء الخسائر المتوقعة. السيناريوات التي تشبه الخطوات التي يحدّدها سلامة هي كالآتي:

1- خسائر سندات اليوروبوندز 45%، صفر خسائر على سندات الخزينة باللليرة اللبنانية، إضافة إلى معدل مخاطر 9,45 على توظيفات المصارف لدى مصرف لبنان بالعملات الأجنبية: بنتيجة هذا السيناريو يتم شطب 50% من رساميل المصارف وتترتب عليها موجبات زيادة الرسملة بقيمة تراوح بين 7,7 مليارات دولار و12,6 مليار دولار تبعاً لمعدلات الملاءة الدولية التي ستطبق (8% أو 10,5%). وسيؤدي هذا الأمر إلى إفلاس ما يراوح بين 24 مصرفاً (9 منها ألفا) أو 27 مصرفاً (10 منها ألفا).

يظنّ كثيرون أن هذا العقاب هو الأنسب للمصارف ولمصرف لبنان الذين فرّطوا في أموال المودعين. لكن الواقع أن خطّة الحكومة كانت تقترح شطب كل رساميل المصارف بقيمة 22,1 مليار دولار، وفرض رسملة إضافية لمن يريد الحفاظ على ملكيته بحدّها الأدنى بقيمة إجمالية تبلغ 5 مليارات دولار. هذا يعني أنه يفترض بمساهمي المصارف أن يأتوا بقيمة 5 مليارات دولار إضافية من الخارج، وهو مبلغ يحتاج إليه لبنان بشدّة من أجل عكس مسار الانهيار الحاصل اليوم. أما في الحال الذي تسير عليه الأمور وفق خطّة سلامة والمصارف، فإن الانهيار سيتسارع أكثر فأكثر في ظل عوامل إضافية تضغط عليه مثل كورونا والإغلاقات لمكافحة انتشارها، وانفجار المرفأ وتبعاته السياسية والاقتصادية، الهيجان الدولي على لبنان... كل هذه العوامل ستدفع سلامة إلى تعويض الخسارة بالودائع الأجنبية عبر طبع المزيد من الليرات، ما يترك سعر صرف الليرة

> **يستخدم سلامة مواقف صندوق النقد المعارضة لإرقامه لتبرير تنفيذ خطتها!**

مصرف لبنان ينفذ خطّته: الأمر لي في تحديد الخسائر وشطبها

لقياس مستويات الفقر بعد انهيار سعر صرف الليرة وتآكل القدرة الشرائية للأسر (بطال البرنامج 22 في المئة من اللبنانيين، أي ما يقارب 850 ألف شخص)؟ وإن اعتمدت على دعم الفئة الأكثر فقراً، ألا يعني ذلك تحويل الـ23 في المئة الباقين إلى الفقر المدقع، بعد أن يضطر كل منهم إلى شراء صفيحة البنزين بنحو 75 ألف ليرة، وإلى شراء ربطة الخبز بخمسة آلاف ليرة، من دون نسيان الدواء، الذي ستكون كلفته هائلة...؟

حتى لو قررت الحكومة اتباع النسبة الأكثر تماشياً مع الظروف اللبنانية، فسيعني ذلك تحويل 55 في المئة من الشعب اللبناني (العدد يزداد بشكل يومي بسبب عمليات الإقفال والصرف والارتفاع المستمر في الأسعار) إلى حاملين لبطاقات الدعم. ووفقاً للطريقة اللبنانية المعتمدة، يمكن تخيّل بطاقات الدفع كواحدة من أدوات الزبائنية السياسية المعتادة، أو أداة تسوّل على شاكلة الـ200 دولار التي سمح بسحبها من محال الصيرفة لمدة أسبوع، قبل أن تثبت فشلها. أليس الأسهل تحميل الطبقات الغنية ضرائب مرتفعة، والبدء بتطبيق الخطة الحكومية لتوزيع الخسائر بما يتيح الاتجاه نحو التعافي؟

تؤكد المصادر أنه في حال توقف مصرف لبنان عن دعم استيراد السلع الأساسية، فإن البديل لن يكون سهلاً. تقول إن كل الاحتمالات ستخضع للنقاش، قبل أن يتقرر اعتماد أحدها. التركيز الحكومي يذهب دائماً باتجاه الإشارة إلى أن ثمة من يستفيد من الدعم من دون أن يكون مستحقاً له. ذلك أمر محق، لكن على الحكومة إيجاد طريقة لتوزيع الأعباء على هؤلاء من مصادر أخرى. الأغنياء على سبيل المثال لا يقودون السيارة ولا يحتاجون إلى الدواء أكثر من متوسطي الحال، بينما يستعملون الكهرباء ووسائل الرفاهية أكثر. وهذه فئات يمكن وضع ضرائب عالية عليها تعوض استفادتها من دعم المواد الأساسية. في الأساس، دراسة «أسكوا» نفسها، كانت أشارت إلى ضرورة «التضامن» بين فئات المجتمع. فانطلاقاً من كون لبنان يسجل أعلى مستويات التفاوت الاجتماعي في المنطقة العربية والعالم، حيث بلغت، في العام 2019، ثروة 10 في المئة ما يقارب 70 في المئة من مجموع الثروات الشخصية المقدرة قيمتها بـ232 مليار دولار. وهذه النسبة مهما انخفضت بفعل خضات العام 2020، فإن التفاوت سيبقى كبيراً. ولذلك، فإن الأولى إعادة توزيع الثروة، من خلال فرض ضريبة استثنائية على الثروات، ثم إقرار الضريبة التصاعدية على مجمل الصحن الضريبي للأسرة الواحدة.

صار جلياً أنه لم يعد بالإمكان مواجهة الإفلاس الفعلي للجهاز المصرفي من دون إجراء تغيير بنيوي في الاقتصاد والنقد والمال. وهذا يتطلب أولاً الاعتراف بالخسائر قبل الاتفاق على كيفية توزيعها، وثانياً التخلي عن حيادية الدولة. فتفرض «كابيتال كونترول» موسّعاً يشمل منع استيراد الكماليات، ويمنع خروج أي دولار إلى الخارج إذا لم يكن له وظيفة داخلية (استيراد آلات صناعية، مواد أولية...).

ينهار أكثر فأكثر وبشكل متسارع. المشكلة أن سلامة برّر السياسات التي سينتهجها في تحديد الخسائر والية إطفائها بـ«مواكبة توجّه صندوق النقد الدولي». المفارقة أن الصندوق يرى أن أرقام مصرف لبنان لا تعكس حقيقة الخسائر التي تكبدها النظام المالي، وأن الواقع هو أقرب إلى التقديرات التي أعدّتها الحكومة والمستشار المالي لازار. لكن سلامة مصرّ على استعمال مواقف الصندوق ضدّه وضدّ الأرقام التجميلية التي يقدّمها عن الخسائر، على أنها مبررات كافية لتنفيذ خطّته وخطة المصارف التي يرفض الصندوق اعتبارها خطّة في الأساس. هذه المشكلة تأتي في وقت استقالت فيه الحكومة بعد إنجاز تحديد الخسائر، وبعدما اقتربت من التدقيق في دفاتر سلامة. هذا التدقيق الجنائي بالذات هو الذي دفع الكثيرين من حماة النظام إلى التأهب في مواجهة الحكومة والعمل على إسقاطها في إطار فرصة انفجار مرفأ بيروت.

اللافت أن سلامة يروّج لخطّته انطلاقاً من رفض صندوق النقد الدولي تمكين لبنان استعمال الكوتا الخاصة به بقيمة 800 مليون دولار. الرفض جاء انطلاقاً من شروط مسبقة حدّدها الصندوق تتعلق بما يسميه إصلاحات متصلة باستدامة المديونية في إطار اتفاق على برنامج كامل مع الصندوق. ما يرفضه الصندوق هو تماماً ما يقوم به سلامة؛ فهذا الأخير يقوم بكل ما يلزم من أجل حماية الطبقة الحاكمة من «الإصلاح». يجب عدم إغفال أن هذه الطبقة وفّرت له الحماية قبل بضعة أسابيع عندما كاد يتفق على إقالته. يومها خرج الرئيس نبيه بري من القصر الجمهوري معلناً الاتفاق على «خفض قيمة الدولار مقابل الليرة إلى ما تحت الـ 4000 ليرة وصولاً إلى 3200، ومخاطبة صندوق النقد الدولي بلغة واحدة». وردّاً على سؤال عن إقالة سلامة قال بري: «نحن بحاجة إلى كل الناس وليس الاستغناء عن أحد».

منذ ذلك الوقت تضاعف سعر الدولار مقابل الليرة، وها هو سلامة ينفّذ خطته وخطة المصارف بسلاسة تامة، حتى إن المودعين نسوا أو تناسوا أن سلامة هو المسؤول الأول عن فقدان ودائعهم.

(عروات طحطح)

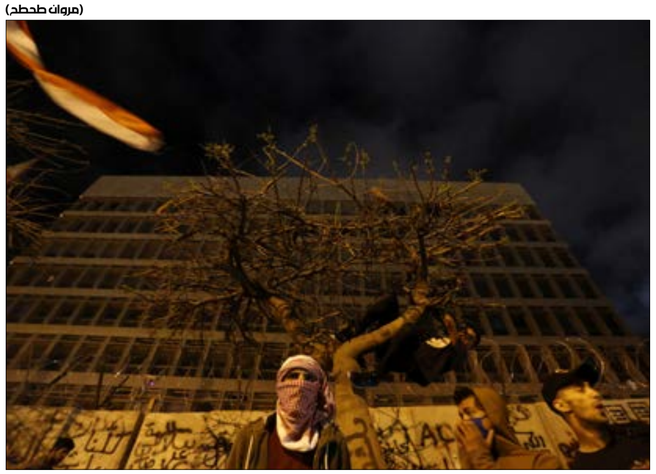

قضية

رحلة باخرة النيترات من جورجيا إلى بيروت

لم تُكشف هوية «المذنب الأكبر» في جريمة المرفأ. المحقق العدلي يرسم خارطة توزّع المسؤوليات. يترافق ذلك مع فتح الأجهزة الأمنية (الأمن العام واستخبارات الجيش وقوى الأمن الداخلي) تحقيقات داخلية لكشف المسؤول عن الخلل في التعامل مع ملف نيترات الأمونيوم. كما يتركّز التحقيق لتحديد السبب الذي يقف خلف وصول سفينة «روسوس» إلى لبنان. في ما ياتي، خلاصة ما اطلعت عليه «الأخبار» من وثائق تكشف سبب توقف الباخرة في مرفأ بيروت

صاحب شحنة النيترات تخلى عنها عام 2015 بسبب سوء حالتها بعد تخزينها في العنبر 12 (مروان بوحيدر)

رضوان مرتضى

بات ثابتاً لدى سلطات التحقيق في تفجير مرفأ بيروت (4 آب 2020) أنّ السفينة روسوس، التي كانت محمّلة بـ2700 طن من نيترات الأمونيوم، دخلت إلى لبنان في 21 تشرين الثاني عام 2013. كان هدف طاقمها نقل ألياف تُستخدم في عمليات المسح الزلزالي بحثاً عن النفط. السفينة انطلقت من مرفأ باتومي في جورجيا متجهة إلى مرفأ بابرا في الموزمبيق، لكنها عرّجت على لبنان لشحن 12 شاحنة كبيرة و15 شاحنة صغيرة وحاوية كبيرة (40 قدماً) وحاويتين صغيرتين (20 قدماً)، لإيصالها إلى مرفأ العقبة في الأردن. وبحسب إفادة الربّان، فقد ذكر أنّه جاء لأخذ «التوصيلة»، على اعتبار أنّ أجرة شحنة بيروت ستُغطي كلفة عبور قناة السويس. مكثت السفينة أربعة أيام في مرفأ بيروت من دون قيد أو شرط. وقتذاك لم يكن هناك قرارٌ بمنع إبحارها أو حتى قرارٌ قضائي بالحجز عليها.

أثناء تحميل الشاحنات على متن السفينة، لحق ضرر كبير بأحد العنابر. لم يكن فيها مكان يتّسع لتحميل الشاحنات، بحسب تقرير رسمي، فحُمّلت على غطاء عنبر البضاعة في «انبعج» العنبر، بحسب تعبير خبير. في تلك الأثناء، أُبلغ جهاز الرقابة على السفن بما حصل. وفي 25 تشرين الثاني عام 2013، أجرى كشفاً على السفينة وقرر حجزها لعدم استيفائها شروط سلامة الملاحة البحرية وفق القوانين الوطنية والدولية. وتم إبلاغ مالك السفينة والمنظمة البحرية الدولية.

وفيما أرسلت الشاحنات إلى الأردن بواسطة سفينة أخرى، بقيت «روسوس» محتجزة والبحّارة عالقين على متنها بناءً على هذا القرار، حتى 20 كانون الأول 2013، أي بعدما كان قد مرّ على منع السفينة من المغادرة 25 يوماً. في ذلك اليوم، نفّذت شركة Bankernet الحجز الأول على السفينة أمام دائرة تنفيذ بيروت القضائية، عبر وكيلها القانونيين المحاميين سمير وجان بارودي، فللشركة الطالبة الحجز مبلغ 119 ألف دولار مع لواحق بقيمة 12 ألف دولار مترتّبة على مالك السفينة بدل ثمن وقود. حجزٌ ثانٍ نُفّذ على سفينة Dan bankering روسوس من شركة بروكسل بعد سبعة أيام، أي في 27 كانون الثاني 2013. هذه المرة المبلغ المطلوب 151 ألف دولار. وفي 17 نيسان عام 2014، نُفّذ حجزٌ ثالثٌ من شركة ثالثة لطلب مبلغ 23 ألف يورو مستحقة على مالك السفينة. وفي 28 آذار 2015 نُفّذ الحجز الرابع ضد السفينة من قبل شركة Maryland corporation. وفي الخامس من أيار 2014 نُفّذ الحجز الخامس للمطالبة بمبلغ 98 ألف دولار. وجميع هذه الشركات كانت تطالب مالك السفينة بثمن وقود لم يدفعه.

برز لافتاً في مسار التحقيقات أنّ مالك السفينة تخلّى عن الطاقم في الشهر الأول من فترة احتجازها. توقف عن دفع رواتبهم كما قطع التواصل معهم. وقد اطّلعت «الأخبار» على العديد من المراسلات البريدية التي أرسلها قبطان السفينة بروشكيف بوريس والتي برز لافتاً فيها عنونته لبريده الإلكتروني بـ«الرهائن على روسوس». وكان القبطان يرجو الجهات اللبنانية السماح للطاقم بالمغادرة، ويُعرب عن فقدانهم الأمل حيث يعيشون حالة شديدة من اليأس من جرّاء وجودهم منذ أشهر محتجزين على متن هذه السفينة. حتى إنّه في إحدى رسائله هدّد بالانتحار وأصفاً الدولة اللبنانية بأنّها بفعلتها هذه تُعيد زمن العبودية. كما قام البحّارة بمراسلة عدد من الجمعيات الحقوقية التي قامت بدورها بمراسلة الدولة اللبنانية وشركة المحاماة عبر السفارتين الروسية والأوكرانية. وطالب هؤلاء بـ«تحرير» البحّارة لكون الملفات العالقة يتحمّلها مالك السفينة. لذلك، وبعد مرور أشهر على احتجاز الطاقم، عاود باروردي التوكّل عن البحارة المحتجزين ليطلب من القضاء تركهم في حال سبيلهم. وفي شهر آب من عام 2014، قرر القضاء تركهم.

السفينة أفرغت من النيترات في شهر تشرين الأول 2014، بناءً على إشارة القضاء، الذي قرر ذلك بعدما تقدّمت الدولة اللبنانية - بواسطة المديرية العامة للنقل البري والبحري - بطلب تفريغ الحمولة خشية غرق السفينة وما يمكن أن تمثّله الحمولة من خطر بيئي. إلا أنّ التدقيق بيّن أنّ شركة باروردي للمحاماة كانت قد راسلت رئيس مرفأ بيروت في السابع من نيسان عام 2014، أي قبل ستة أشهر من إنزال النيترات، وعنونت رسالتها بـ«طلب اتخاذ تدابير مستعجلة لتجنب حدوث كارثة بحرية». انطلقت الشركة من أنّ البحارة سجناء على متن السفينة ولا يستطيعون تأمين قوت يومهم بعدما تخلّى عنهم أصحاب الباخرة ومجهزوها ومستأجروها وتوقفوا عن دفع أجورهم وانقطعوا عن دفع نفقات السفينة وديونها، لتتحدث عن خطر داهم يتمثّل بنيترات الأمونيوم التي وصفتها الشركة بأنها خطرة جداً لقابليتها العالية للاشتعال، منبّهة إلى ضرورة أخذ التدابير اللازمة والحذر عند تخزينها أو نقلها. وأشارت الرسالة إلى أنّ الباخرة أصبحت مهترئة، ما يعرّضها لخطورة الانفجار. وللتحذير من الخطر المحدق، استعانت الشركة عدداً من الكوارث الناجمة عن نيترات الأمونيوم، مقترحة بيع الباخرة والحمولة.

ورداً على رسالة شركة بارودي، أجاب المدير العام للنقل البري والبحري المهندس عبد الحفيظ القيسي متحدثاً عن توجيه كتابين إلى هيئة القضايا في وزارة العدل بتاريخ 8 نيسان 2014 وبتاريخ 14 نيسان 2014 عُرضت فيهما حيثيات موضوع الباخرة التي تحمل مواد خطرة ومهددة بالغرق، كاشفاً عن طلبه التعجيل في بت قضيتها وبيعها بالمزاد العلني. وكشف عن طلبه من وكيل الباخرة البحري (الوكالة الوطنية للتجارة والشحن) إصلاح الباخرة وصيانتها بشكل فوري وسريع، وإبلاغه خلال مهلة 24 ساعة بالإجراءات التي سيتّخذها.

خلال الشهر نفسه، أجرت دائرة الملاحة البحرية في المديرية العامة للنقل البري والبحري في وزارة الأشغال كشفاً على السفينة روسوس الراسية على حاجز أمواج مرفأ بيروت لتقييم حالتها ووضع تصور لاتخاذ القرار المناسب الذي يضمن استمرارية حركة الملاحة في مرفأ بيروت. انطلق التقرير من تاريخ بناء السفينة المحدد عام 1986، والتي تُبحر تحت علم مولدوفيا بطاقم من الجنسيتين الروسية والأوكرانية. وذكر الخبير الذي أعد التقرير أنّه مع شحن أول شاحنة لوضعها على عنبر السفينة وقع الضرر، فامر ربّان الباخرة بوقف عملية الشحن خشية انهيار غطاءي العنبرين وحصول ضرر كبير في السفينة والبضاعة. ومن جرّاء الكشف، خلص جهاز التفتيش إلى أنّ أسطح السفينة وغطاءي عنبري البضاعة في حالة اهتراء شديد، كما أنّ مواسير الهيدروليك المخصصة لفتح غطاء العنبر مهترئة. وأشار إلى وجود شرخ في الحديد الخارجي في خزان مقدمة السفينة، كاشفاً أنّ «أنظمة سحب مياه الصابورة» من خزان المقدمة وبقية الخزانات لا تعمل. وكشف عن وجود شرخ في كل من خزان الصابورة الأيمن والأيسر حيث وُضع صندوق اسمنتي لمنع تدفق مياه البحر إليهما. كما ذكر التقرير أنّ الطعام المتوفر للطاقم لا يكفي لأكثر من أسبوع، وأنّ البحارة لم يتسلموا رواتبهم منذ شهر تشرين الأول 2013، أي إنهم لم يتقاضوا أي راتب طوال ستة أشهر.

ولفت التقرير إلى تشغيل مولدّ الكهرباء في الباخرة يكون لأربع ساعات فقط يومياً بسبب النقص في الوقود. وذكر أنّه لا يوجد طاقة كهربائية دائمة، ما يعني أن بطاريات الطوارئ لن تكون جاهزة للاستخدام في أي وقت. وتحدث عن تسرب زيتي في مختلف أرجاء السفينة. كما أشار إلى أنّ القمامة متراكمة على سطحها، واصفاً الحالة النفسية للطاقم بالسيئة. وكُتبت في نهاية التقرير مجموعة توصيات مع إشارة كاتب التقرير، الربان هيثم شعبان، إلى وجود خطر قد ينجم عن وجود البضاعة المصنفة خطرة، متخوّفاً من حصول تفاعل كيميائي.

مالكو النيترات

توصّلت التحقيقات إلى تحديد أربع شركات مرتبطة بشحنة نيترات الأمونيوم. الشركة المالكة للبضاعة Savaro LMT والشركة الوسيطة التي تولّت عملية بيعها والشركة التي نقلتها وهي Teto shipping LTD والشركة المشترية في الموزامبيق التي يملك الجزء الأكبر من أسهمها رجل أعمال برتغالي. وقد أظهرت ورقة المانيفست المؤرخة بتاريخ 27 أيلول 2013 أنّ البضاعة المحمّلة على متن سفينة Rhosus المتجهة إلى موزامبيق، هي نيترات الأمونيوم العالية الكثافة عبارة عن 2755,500 طناً موضّبة في 2750 كيساً. وورد في المانيفست أنّها تُستخدم لتصنيع المتفجرات، ومشحونة لأمر بنك موزامبيق الدولي لصالح شركة Fabrica de explosives، علماً بأنّ الشركة المالكة للبضاعة هي شركة Savaro limited في أوروبا الشرقية تستخدم نيترات الأمونيوم في التفجيرات خلال عملها في المناجم.

وعلمت «الأخبار» أنّ الشركة الشارية للبضاعة تخلّت عنها عام 2015، إثر زيارة أحد مالكيها للبنان للمطالبة بالبضاعة المحجوزة. وكشفت المعلومات أنّ هذه الشركة كلّفت المحامي جورج القارح بالتوكّل عنها لمتابعة الملف أمام القضاء. وبناءً على استدعاء هذه الشركة عبر وكيلها أمام القضاء لتبيان حالة الشحنة وكميتها وإذا ما كانت صالحة للاستهلاك، كُلّفت الخبيرة الكيميائية ميراي مكرزل من قاضي الأمور المستعجلة في بيروت نديم زوين في الشهر الأول من عام 2015 بإجراء الكشف على عينات نيترات الأمونيوم. وفي 18 شباط 2015 كتبت مكرزل تقريرها ورفعته للقاضي، وذكرت فيه أنّ البضاعة بحالة مزرية، والأكياس ممزقة والمادة الموجودة داخل تلك الأكياس أصبحت خارجها وتغيّر لونها. وكتبت الخبيرة المحلّفة أنّه لا يمكن عدّ الأكياس بسبب طريقة تخزينها ووضعها بطريقة غير منظّمة بحيث لا يمكن إحصاؤها، لكنها قالت إنّ عددها هو 2750 كيساً بحسب بوليصة الشحن. وذكرت أنّ هناك 1950 كيساً ممزّقاً من أصل العدد الكلي، مشيرة إلى أنّ نيترات الأمونيوم تُستخدم كأسمدة زراعية كما يمكن استعمالها في صناعة المتفجرات. أما عن صلاحية البضاعة الموجودة في الأكياس الممزّقة، فذكرت مكرزل أنّ هذه المواد تبقى صالحة إذا لم تمتص رطوبة، لكن للتأكد، تحتاج إلى تحليلها في مختبر، لافتة إلى أنّ الجهة المستدعية رفضت ذلك.

وعلمت «الأخبار» أنّ وكيل الشركة المالكة للبضاعة جُنّ جنونه عندما أُبلغ بحالة الشحنة، فقرر الاستغناء عنها لاعتبار أنّ حالتها سيئة. ولدى السؤال عن سبب تخلّيها عنها وتحمّلها للخسائر، كان الجواب أنّ الشركة المشترية تطلب الشحنة بناءً على اعتماد مستندي مصرفي. وأنّه في حال عدم وصول الشحنة إلى وجهتها المحددة، فإنّها لا تدفع ثمنها.

لم يكتفِ التقرير بوصف حالة البضاعة، إذ كتبت مكرزل في السطر الأخير منه أنّه يجب التخلّص من المواد الموجودة في الأكياس الممزّقة وفقاً للأنظمة المتعلّقة بالرقابة البيئية المحلية.

لكن الدولة، بسلطتيها القضائية والتنفيذية، لم تلتفت إلى خطورة وجود هذه الكمية الهائلة من نيترات الأمونيوم في مرفأ بيروت. بقيت تلك القنبلة ذات المفاعيل النووية في العنبر الرقم 12 مدار أخذ ورد بين الجمارك وقيادة الجيش والقضاء ووزارة المال وإدارة المرفأ، ثم المديرية العامة لأمن الدولة ومجلس الدفاع الأعلى ورئاسة الحكومة ووزارة الأشغال، إلى أن وقعت الواقعة يوم 4 آب 2020.

لماذا تسلّل الحداد من فجوة العنبر؟

استجوب المحقق العدلي في انفجار مرفأ بيروت القاضي فادي صوان كلاً من المدير الاقليمي لجمارك بيروت المدّعى عليه ح.ف.، والمدّعى عليها المهندسة ن.ح.، وهي موظفة في إحدى الشركات التي تلتزم إشغالات في المرفأ وأصدر مذكرتي توقيف وجاهيتين بحقهما. وبتوقيفهما، صار عدد الذين صدرت مذكرات توقيف وجاهية بحقهم في هذا الملف ستة أشخاص.

وكشفت مصادر أمنية أن الفضيحة الكبرى التي تُضاف إلى الارتكابات لجهة التأخر في تنفيذ الإشارة القضائية، تتمثل في قيام رئيس مصلحة استثمار المرفأ حسن قريطم بإجراء مناقصة فازت بموجبها إحدى الشركات لتلزيم حدادين مقابل 6 ملايين ليرة لإصلاح باب العنبر الرقم 12. وبهذا برّر قريطم التأخير حيث ذكر في إفادته أنّ جهاز أمن الدولة لم يبلّغ إدارة المرفأ بالإشارة القضائية بشأن طلب تعيين أمين مستودع للعنبر المذكور. وعلمت «الأخبار» أنّه عند وصول الحدادين لإصلاح العنبر، تبيّن لهم أنّ الصدأ عطّل قفل الباب، فلم يتمكنوا من فتحه، وعمد أحد الحدادين إلى التسلل عبر الفجوة الموجودة في العنبر ليفتح الباب من الداخل. وبعد الانتهاء من أعمال الصيانة، لم يجد الحدادون سبيلاً لإقفال باب العنبر سوى عبر تلحيمه! وأدى تلحيم الباب إلى عرقلة عمل فريق الإطفاء الذي لم يتمكن من فتح الباب سوى عبر خلعه، ما أسهم في تأخير مكافحة الحريق المشتعل.

> الباخرة أتت إلى بيروت لشحن معدات للمسح الزلزالي إلى الأردن

كورونا

472 إصابة في القطاع الصحي: الرهان على الإقفال ليس كافياً

بوشرت، أمس، إجراءات الإقفال التي تقرر اتخاذها لمدة أسبوعين بهدف فرملة الإصابات المرتفعة بفيروس كورونا التي تشهدها البلاد بشكل يومي منذ قرابة شهر، والتي وصل مجموعها (الإصابات الحالية) إلى 8250 شخصاً مع إعلان وزارة الصحة العامة تسجيل 628 إصابة جديدة (619 مُقيماً وتسعة وافدين). ومن بين الحالات الجديدة، سُجّلت ثماني حالات في صفوف العاملين في القطاع الصحي، ليرتفع إجمالي المصابين في صفوف هؤلاء إلى 472 حالة، فيما وصل مجموع الوفيات إلى 116 مع تسجيل ثلاث وفيات جديدة خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، علماً أن نسبة الوفيات في لبنان ارتفعت في المليون، من أقل من عشرة أشخاص من بين كل مليون إلى 17 شخصاً في المليون.

وأمام مواصلة تسجيل المئات من الإصابات يومياً، تقدّم ترتيب لبنان لجهة تسجيل الإصابة خلال أربعة أيام فقط من المرتبة 88 عالمياً إلى 84، فيما من المتوقع أن تُسجّل المزيد من الإصابات «المئوية» خلال الأيام المُقبلة.

وأمام هذا الواقع الوبائي الدقيق، يتمسّك أصحاب القرار بإجراء الإقفال كخيار «لا بديل له» لكبح عداد الإصابات من جهة، وإفساحاً في المجال لاستكمال تجهيزات القطاع الصحي والطبي من جهة أخرى، على ما صرّح به سابقاً وزير الصحة العامة حمد حسن، علماً أن التجهيزات المطلوبة لمواجهة الفيروس، سواء تلك المتعلقة بأسرّة العناية الفائقة وأجهزة التنفس ومراكز الحجر أم غيرها، وجب أن تكون منجزة منذ أكثر من ثلاثة أشهر، إذ كان المعنيون يدركون جيداً أن موجة ثانية من الوباء تنتظر البلاد بداية تشرين الأول.

المُفارقة أن تقديرات بعض المعنيين في الملف الصحي تُشير إلى أن ما يشهده لبنان ليس الا ذروة للموجة الأولى فيما تنتظره موجة أشد فتكاً في فصلي الخريف والشتاء قد تلتقي مع الموجة الأولى، الأمر الذي سيُضاعف الضغط على أسرّة العناية الفائقة وأجهزة التنفس، خصوصاً أن الإصابات التي تسجل في صفوف العاملين الصحيين تعزز المخاوف من العجز عن استيعاب الحالات. وإلى ما ورد، ثمة عامل أساسي مرتبط بجاهزية المُستشفيات التي بلغ بعضها قدرته الاستيعابية القصوى، فيما البعض الآخر لا يزال عاجزاً عن «عرض خدماته» بحجة عدم أهليته وقدرته الهندسية على استقبال مصابين بالفيروس، على اعتبار أن الوباء يفرض شروطاً تتعلق بعزل المداخل والمناطق.

وفي هذا الصدد، يجب التذكير بأن معظم المُستشفيات في لبنان لا يملك القدرة على «الخلط»، أي أن تستقبل في الوقت نفسه مصابين بالفيروس ومرضى آخرين، لجهة حجمها وبنيتها الهندسية، وهو ما يتطلب الإسراع في «فرز» المُستشفيات والاعلان عن تلك المخصصة لكورونا.

وكان مُستشفى السان جورج (الحدث)، قد أعلن، أمس، أنه في نهاية الأسبوع المُقبل سيتم تخصيصه لمرضى كورونا حصراً، فيما من المتوقع أن يعقد وزير الصحة مؤتمراً صحافياً مُشتركاً مع إدارة المُستشفى للاعلان عن عدد الأسرّة المتوفرة، وغيرها من الشروحات اللازمة لقدرات المُستشفى القابلة للاستثمار في مجال مواجهة الفيروس.

وعليه، ونظراً إلى دقة الوضع، تُشدّد الجهات المعنية، وعلى رأسها وزارة الصحة حالياً، على ضرورة التشدد في إجراءات الإقفال هذه المرة، وألا يكون «شكلياً»، كالإقفال السابق الذي اتخذ أواخر تموز الفائت، بعدما دفعت الأزمة الاقتصادية بكثيرين إلى التمرّد على قرار الإغلاق.

أمس، قال حسن إن البلاد عادت إلى النقطة الصفر «ولكن مع جاهزية معنوية ولوجستية متقدمة وأعلى من مرحلة بداية الوباء (...)»، فيما وحدها نتائج المرحلة المقبلة قادرة على تقييم هذه الجاهزية. صحيح أن الجدية في التزام الإقفال قد تعكس تحسناً في الأرقام، وفق وزارة الصحة، إلا أن السيطرة على الوباء، حُكماً تتطلب ما هو أكثر من ذلك بكثير.

(الأخبار)

نسبة الوفيات في لبنان ارتفعت من أقل من 10 أشخاص في المليون إلى 17 شخصاً في المليون (هيثم الموسوي)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق إيلي حنا امل التحري
■ صادرة عن شركة اخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الاوائل 15ـ01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

البطريرك الماروني يجاهِر: مشروع الحياد «الإسرائيلي»

أسعد أبو خليل *

(هيثم الموسوي)

مِن عجائب النظام اللبناني الطائفي الفاسد، أن يطلع عليك رؤساء السلطات الدينيّة (الفاسدة بغالبيتها) بآراء في السياسة، الداخليّة والخارجيّة على حدّ سواء. وهذه السمة كانت من احتكار زعماء الطوائف الثلاث «الكبرى»، لكنّ المطران الانعزالي، الياس عودة، انضمّ إلى المجموعة، وباتت عظاته نسخة متكرّرة عن صفحات الرأي في جريدة «الشرق الأوسط» السعودية. لعلّه يظنّ أنّه بذلك يُعلي شأن الطائفة الأرثوذكسيّة. لا تستطيع مثلاً أن تتصوّر رأس السلطة الدينية الدرزية أو العلويّة يُدلي بالآراء السياسيّة المُجاهِرة، في السياسات الداخلية أو الخارجية. هؤلاء يجب أن يكونوا قدوة في النأي عن اقتراح سياسات للدولة، لكنّ صفاقة البطريركية المارونية لا تعادلها صفاقة بين كلّ المؤسّسات الدينية، على سوئها وفسادها. البطريركية المارونية عريقة في تبعيّتها للغرب الاستعماري، وفي التحالف مع الصهيونيّة حتى قبل إنشاء الكيان. فالانصياع لمصالح دول الغرب والترويج لسياسات وعقائد معادية لمصالح شعوب المنطقة، ليس جديداً على البطريركية التي كانت عوناً للاستعمار الغربي، والتي نبذت الشجاع أمين الريحاني لأنّه انتقد الاستعمار الفرنسي. نهَر البطريرك بطرس عريضة الريحاني في حضرته وقال له: «إنّي فهمتُ ممّا ورد في خطابكم من إشارة إلى الأجنبي أنكم تقصدون الفرنسيّين، بيدَ أنّ الفرنسيّين كانوا ولا يزالون أصحابنا وقد خدموا لبنان خدمات جليلة ونفعونا نفعاً جزيلاً» («المعرض»، كانون الثاني/ يناير 1932). كذلك، سبق للبطريركية نفسها، أن نبذت جبران خليل جبران، ثمّ محت كلّ تنديدها به بعدما حوّلته إلى طائفي فينيقي، كما أنّ مجلّة الاستشراق اليسوعي، «المشرق»، كانت قد وصفت أمين الريحاني بـ«محمد علي الريحان»، ومحمد علي إهانة في الاستشراق الكنسي.

إنّ آخر من يحقّ لهم النطق في السيادة وسياسة لبنان الخارجية هم الذين اعتلوا سدّة البطريركية، باستثناء البطريرك خريش الذي نُبذ من قبل الفريق الانعزالي بسبب معاداته لإسرائيل بحكم معايشته لنكبة فلسطين، عندما كان في حيفا. البطريرك الراعي ينهل من تراث الآرتهان الكنسي للاستعمار الغربي، وهذا الارتهان مثّله المطران نقولا مراد في رسالة إلى الحكومة الفرنسيّة، في عام 1844، والتي استهلّها بالقول لملك فرنسا: «نحن عبيد جلالتكم» (فيليب وفريد الخازن، «المحررات السياسية»، ج1، ص. 128). وربما البطريرك الراعي، من خلال دعوته إلى الحياد المشبوه، أن نكون عبيداً لإسرائيل ويريد، مرة ثانية، أن يجعل جنوب لبنان مرتعاً لجيش الاحتلال الإسرائيلي، لكن هيهات.

عندما طلّع علينا البطريرك الراعي بمشروع «الحياد»، أتى ذلك في سياق حملة بروباغندا أميركية ـ إسرائيلية لا مثيل لها، وهي الهجوم الحملة التي أعقبت اغتيال الحريري، وبراءة مشروع الراعي تنقضّ عندما تتذكّر كيف أنه زار دولة الاحتلال، في عام 2014، في ظلّ حملة تطبيع خليجي مع دولة الاحتلال، والراعي وثيق الصلة بالنظام السعودي. ولماذا ينسى الناس أنه هو أيضاً ـ وليس فقط بولا يعقوبيان ـ غطّى على أسر وضرب وركل سعد الحريري في الرياض؟ ولم يسأل أحد الراعي، ولا هو تطوّع بالتصريح، عن ظروف ترتيب الزيارة والمفاوضات مع حكومة العدو لتنظيم حراسته أثناء الزيارة واستقباله على الحدود؟ إلّا إذا كان يريدنا أن نصدّق رواية جوزيف أبو خليل عن زيارته فلسطين المحتلّة، وعن أنّه استقلّ زورق صيد ووجد إسحاق رابين ينتظره على الشاطئ. الراعي قال في البداية، إنّ مشروع الحياد لا علاقة له بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، وصدّقه صغار العقول، مع أنّ صهيونية المرمى كانت واضحة منذ البداية، لكنّ اللغز تبدّد عندما نشَر الراعي مشروعه قبل أيام.

الكذبة الكبيرة في طرح الراعي، أنّه بدأ بالإصرار على أنّ المشروع لا علاقة له بالصراع العربي ـ الإسرائيلي، إلّا أنّ كلّ ثنايا النص تتحدّث عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي. وهو محقّ عندما يقول إنّ الحياد كان حاضراً كسياسة دفاعية وخارجية يتبعها الكيان اللبناني المسخ، وهو هنا يتحدّث عن عقيدة فؤاد شهاب العسكرية، التي اعتبرت أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي لا يعني لبنان، وأنّ على لبنان أن يرسل تطمينات دائمة إلى إسرائيل بهذا الشأن (ولهذا، فإنّ شهاب خدع الدول العربية في حرب فلسطين، عندما تملّص من كلّ الالتزامات ورفض أن تتقدّم قوّات للحاق لبنان بحلف يمتدّ من تل ابيب إلى واشنطن. هذا غاب عن عرض الراعي المزيّف. ويظهر المفهوم الصهيوني (المنحاز، أي غير الحيادي) للبطريرك الراعي، عندما اعتبر أنّ «اتفاق القاهرة» تنازَل عن سيادة لبنان، بينما كان انطلاق المقاومة الفلسطينية، وأعوانها من اللبنانية، ردة فعل لبنانية سيادية على تنازل لبنان ـ ومنذ عام 1948 ـ عن سيادته لصالح إسرائيل. المقاومة الفلسطينية حفظت سيادة لبنان أكثر من جيش لبنان قبل عام 1975، وبعده. وعندما يصف البطريرك المنحاز ـ دائماً لإسرائيل ـ أعمال المقاومة، يقول إنها «أعمال عسكرية ضد إسرائيل». بقي أن يصف الفلسطينيّين بالمُخرّبين، ومن يُدرج كيف يصفهم في مجالسه الخاصّة. وعندما يذكر احتلال إسرائيل للبنان، يبدأ بعام 1978، لأنّ معاناة أهل الجنوب في السنوات التي سبقت، من توغّلات واجتياحات وقصف واعتداءات، لا تعني له، أو قلْ إنها لا تتفق مع سرديّة حياده (وحياد العدو).

ويعتبر البطريرك أنّ كلّ ما وقع في لبنان من حروب ومآسٍ، كان نتيجة «خروج لبنان عن سياسة الحياد»، أي أنّه يقول بصريح العبارة إن اعتداء إسرائيل مُبرَّر، لأنّ لبنان تخلّى عن الحياد. لا، لبنان تخلّى عن سيادته منذ عام 1948، وهذا سمح لإسرائيل بالتعاون مع لبنان ومساكنيه على أنه بلد مُباح. الا يخرق حياد لبنان أنّ إسرائيل أبلغته في عهد شارل حلو، أنها ستقصفه إذا ما ركّب مضخّة مياه على نهر الوزّاني، وبالفعل رضخ لبنان وامتنع عن تركيب المضخّة خوفاً من إسرائيل ـ وهذه مذكورة في الأرشيف الأميركي ـ وظلّ الأمر على هذا النحو حتى تحرير لبنان على يد المقاومة، في عام 2000، عندما تجرّأت الدولة اللبنانية واقترعت من تلك المياه؛ كيف سيفسّر البطريرك ذلك؟ بحسب رؤيته المهادِنة والوديّة لإسرائيل، فإنّه حتماً سيقول إنّ إسرائيل كانت محقّة لأنّ إباحة لبنان وموارده لها هو من واجبات ومتطلّبات الحياد اللبناني الذي ينشده.

لا يدري البطريرك الراعي كم أنّ أعداء مشروعه سُرّوا بنشره لتفاصيل مشروعه للحياد، لأنّه اضطرّ مرغماً للخروج من الشعارات العامّة والعبارات المبهمة كي يفصّل لنا بنود المشروع ويفصح عن حقيقة مراميه الخطيرة. هو يرى أنّ الحياد يجب أن يكون أيضاً حياداً إزاء «شعوب» المنطقة، وهنا أيضاً يعني انحياز البطريرك إلى حقّ الشعب الفلسطيني. ويقول إنّ ذلك الانحياز عاب صيغة الشراكة بين المسيحيّين والمسلمين. ثم، عن أيّة شراكة يتحدّث؟ كان لبنان خاضعاً لإرادة زعماء الموارنة حصراً قبل عام 1989 (وكان زعماء المسلمين يرفعون شعار «المشاركة» اعتراضاً على احتكار سلطة القرار من قبل رئيس الجمهورية)، وبعد «الطائف» أصبح لبنان خاضعاً لإرادة زعماء المسلمين، فيما يلعب المسيحيّون دور الطرف الثالث، يناحزون للسنّة حيناً أو للشيعة حيناً آخر. هذا البلد الطائفي لم يكن قائماً يوماً على الشراكة، ولن يقوم عليها في ضوء النظام الطائفي.

ويُطالب البطريرك بإعلان حياد لبنان «كفعل تأسيسي» يشبه فعل تأسيس الاستعمار الفرنسي للبنان. كيف تحاجج في السياسة والحياد من لا يزال يعتبر الاستعمار الفرنسي للبنان حدثاً مجيداً وعظيماً؟ هل لأنّ الاستعمار أوهمَه أنّه أضفى عليه مجداً زائفاً؟ والبطريرك في رؤيته للتاريخ، يعود بلبنان القهقرى ويخالف منطق «الميثاق الوطني»، الذي اعتبر أنّ على المسلمين التخلّي عن الوحدة العربيّة مقابل تخلّي المسيحيّين عن التحالف مع الغرب (وهذا الافتراض بطريقه طائفي، لأنّه يفترض نوازع وصفات على كل أبناء وبنات الطوائف). لكنه لا يذكر من الميثاق الوطني إلّا منع لبنان من «الذوبان في الوحدة العربية والإسلامية». هل كانت وحدة عبد الناصر إسلامية، أم كان هو يطرح مفهوماً لا طائفياً للوحدة، أم أنّ البطريرك لا يرى في العروبة الجامعة إلا مشروعاً طائفيّاً فقط لأنّها تهدّد مشروع الكيان اللبناني الطائفي، والذي بناه المستعمر وتريد إسرائيل أن تحافظ عليه صنواً لنظامها العنصري الطائفي القهري؟

ويريد البطريرك من لبنان أن يعلن حياده، وأن يترافق ذلك مع امتناع أيّ دولة إقليميّة أو دوليّة عن التدخّل في لبنان. هل لبنان يجاور حملاً وديعاً كي تقوم دولة الاحتلال بالامتناع عن الاعتداء عليه، بمجرّد أن يعلن حياده؟ هذا يذكّر باتفاقيّة 17 أيّار، ومشروع البطريرك إحياءً لها، لأنّها افترضت أنّ استسلام لبنان لإسرائيل وعزله عن قضيّة فلسطين، يكفيان كي تصبح إسرائيل مسالمة ومهادِنة ومحبّة للبنان وبنيه.

الطرفة أنّ البطريرك يزعم أنّه يقول بتعزيز القوة العسكريّة للبنان. حسناً، إذا كان جاداً في قوله، فلماذا لم يدعم مرّة تسليحاً جديّاً للبنان: لا دعمت البطريركيّة ذلك قبل الحرب، ولا بعدها. والمعروف أنّ أميركا هي التي اليوم (كما الأمس) تمنع لبنان من تعزيز قوّته العسكريّة وتفرض ـ من خلال نفوذها في الجيش ـ فيتو على أي هبات يمكن أن تُزعج إسرائيل، وهي لذلك تعطي مساعدات للجيش على أن تحافظ عليه كقوّة شرطة أو جندرمة، لا جيشاً يدافع عن سيادة البلاد. هل يمكن للبطريرك أن يرفع صوته مرّة للاعتراض على الحظر الأميركي على تسليح جدّي للجيش؟ طبعاً لا. كلامه لا يختلف عن كلام 14 آذار: يريدون تجريد مقاومة إسرائيل من سلاحها، تحت شعار تعزيز قوة الجيش، فيصبح لبنان بلا مقاومة ويُسلَّم أمن البلاد إلى قوّة الشرطة المعروفة بالجيش اللبناني. هم لا يريدون جيشاً قوياً ولا مقاومة قويّة، ولا هم يعترضون على إسرائيل قويّة.

وعندما يعدّد البطريرك أسباب النزاعات في تاريخ لبنان المعاصر، فهو يورد العنصر الإسرائيلي أخيراً، ويصفه بـ«ارتداد نشوء دولة إسرائيل»، أي أنّ النشوء (وهو يقول نشوء لا احتلال، كأنّ إسرائيل نشأت مثل دول أخرى، بناء على إرادة السكّان الأصليّين) لم يكن مشكلة بحد ذاته، بل إنّ الارتداد كان مشكلة لأنه تسبّب «بمجيء الفلسطينيّين إليه». ووصف طرد الشعب الفلسطيني عن أرضه بـ«المجيء»، يعطي صورة رحلة طوعيّة قام بها شعب فلسطين من أجل الترفيه، واستطابت له الإقامة في ربوع لبنان، فبقي فيه لأسباب الراحة والرفاهية. حتى مؤرّخو العدو لم يعودوا يتحدّثون عن «مجيء» الشعب الفلسطيني إلى الدول المجاورة لفلسطين، بل يقولون طرد الشعب الفلسطيني.

ولا يمكن للراعي، من خلال السرد الانعزالي، إلّا أن يعبر نحو مقولة «حرب الآخرين». يصعب تطبيق هذه النظريّة على اندلاع الحرب الأهليّة وعلى حرب الجبل وحروب الأخوة والأشقاء في المدن والأحياء والأزقّة، لكنّ المقولة ممتازة للذين يريدون إقناع النفس والغير، بأنّ لبنان مثالٌ يُحتذى بين الدول ولم يشوبه إلّا وجود الآخرين (يُعنى به دائماً «الأغراب» من العرب فقط) الذين لوّثوا صفاء الفينيقي.

ومحاجّة البطريرك لحياده ضعيفة للغاية في المشروع، إذ هو يملأ صفحات الورقة بأقوال تقترب من هذه الحجج: إنّ الحياد مفيد لأنّه مفيد، أو هو مفيد لأنّه يفيد الجميع، من دون إعطاء حجج أو أسانيد، فيأتي على طريقة وفسّر الماء من دون جهد بالماء. ويقول البطريرك، مثلاً، إنّ الحياد يحمي الشراكة الوطنية المسيحيّة ـ الإسلاميّة (وهنا يفصح البطريرك عن مفهومه الطائفي للوطنيّة). ويضيف أنّ الحياد يجعل مشاركة جميع «المكوّنات» (لم يكفّ لبنان مفهوم الطائفة والطوائف، فبتنا نستعير مصطلحات الاحتلال الأميركي التي طبّقها على العراق من خلال مصطلح «المكوّنات» الذي كان غائباً عن مفهوم الوطنيّة الجامع للعراق الحديث، قبل احتلال أميركا).

وينسى البطريرك أنّ الوضع اللبناني هو راهن، ولن يستمرّ على ما هو عليه من فرقة مذهبية سنيّة ـ شيعيّة (مزروعة من الخارج). ماذا سيكون عليه الوضع، لو اتفق السنّة والشيعة (في أكثرهم)، كما اتّفقوا في الزمن الناصري، وقرّروا المضي في مشروع الوحدة العربيّة مرّة أخرى، وفي ظروف مختلفة عن حقبة السيطرة الأميركيّة شبه الكليّة في منطقتنا؟ حاول أن تطبّق مفهوم الراعي للحياد عبر العودة نحو الماضي إلى زمن الخمسينيّات أو الستينيّات أو السبعينيّات. يكفي أن تفعل ذلك كي تدرك أنّه مستحيل التطبيق، لا بل هو يزيد في الفرقة. هو تماماً يتمثّل في خط كمال شمعون في عام 1958، وفي خط بيار الجميّل في الستينيّات والسبعينيّات. أي أنّ مشروع الراعي وصفة ممتازة للتحضير لحرب أهليّة جديدة. وماذا لو عاد مفهوم العروبة إلى ما كان عليه في زمن عبد الناصر من قوة جامعة مسنودة من الجماهير ومؤيّدة لتحرير فلسطين، لا كما هي اليوم، أي سياسة سعوديّة متصالحة مع العدو؟ هل يحافظ عندها الراعي وجمعجع على ثنائهما للعروبة؟

ثم يملأ الراعي المشروع بكلام محض شاعري، عن أنّ الحياد سيزيد من عبق الأزهار ويزيد من زرقة السماء ويجعل من مياهنا أكثر عذوبة من قبل، «ويساهم في استقرار المنطقة والسلام في العالم». في العالم؟ يكفي أن يعلن لبنان حياده من عدوان واحتلال إسرائيل، كي يعمّ السلام في العالم أجمع؟ ومتى بادل العدو نيّة سلميّة بغير العدوان؟ متى كانت فائدة استسلام الأردن ومصر والإمارات لإسرائيل؟ ألم يزد ذلك من عدوانية النظام المصري نحو جيرانه باستثناء إسرائيل؟ ألم يزد من تحالف الأردن ضد العرب؟ وهل التحالف بين النظام الإماراتي والعدو، إلا على حساب العرب؟

يقول الراعي إنّ الحياد يعزّز الاقتصاد، ثم يعرض المشروع وصفة قتاليّة لاقتصاد مبني على السياحة الطبيّة والمصارف (التي أثبتت فعلها وفائدتها هذه السنة). وكيف يكون ذلك إذا كان التنافس حاديّاً بين لبنان وبين إسرائيل ذات القدرات الأكبر، بحكم رعايتها المالية الدائمة من قبل أميركا وحليفاتها في الغرب؟

ويصل البطريرك إلى جانب خطير في مشروعه، حيث يطرح «لبنان محور الاتحاد المتوسّطي». محور الاتحاد المتوسّطي؟ ما هو هذا الاتحاد الذي نحتاج معه لأن تعرفنا أوضح له؟ أليس هذا نسخة بطريركيّة من مشروع الشرق الأوسط الكبير لشمعون ببيريز؟ وكيف تطرح فكرة الحياد، ثمّ تعود لتعريف هويّة لبنان بطريقة ملتوية لا تسمح لإسرائيل بالانضواء في اتحاد تتشارك مع لبنان فيه؟ وأين في دستور «الطائف» الذي مررتَ عليه مرور الكرام، يرد كلام عن هويّة متوسطيّة للبنان؟

ويختم البطريرك دعوته المشبوهة بالطلب من «الأسرة العربيّة والدوليّة» أن تتفهّم مطالب لبنان، كما تفهّمت من قبل اتفاقيّة 17 أيار. ولا ينسى في ختام الدعوة، أن يعيد التذكير بأنّ اللاجئين الفلسطينيّين امتلكوا السلاح الثقيل، وحاربوا إسرائيل الوديعة الهانئة المسالمة من الأراضي اللبنانيّة. هذه هي سيرة عدوان واحتلال إسرائيل بحسب البطريرك (ولا ندري إذا كان هذا اللطف نحو إسرائيل هو واحد من بنود المعاهدة السرّية بين الحركة الصهيونيّة وبين البطريركيّة المارونيّة في عام 1946، والتي لا تزال البطريركيّة ترفض الإفراج عنها، ربما لأنها تعرّضت للتجديد في اتفاقيّات لاحقة وملزمة: ثم هل هذه الاتفاقيات السرّية جزء من حياد بكركي؟) ويناشد البطريرك العالم كي يطرد عن أرض لبنان اللاجئين الفلسطينيّين والسوريّين على حدّ سواء.

إنّ مشروع الحياد، هو محاولة غير ملتبسة للعودة إلى اتفاق 17 أيّار المشؤوم، وطرحه يتزامن مع هجمة أميركيّة ـ إسرائيلية ـ سعوديّة تستهدف ضمّ لبنان إلى معسكر التطبيع مع العدوّ. لكن على البطريرك أن يتذكّر ـ وإن صمت دعاة الدولة المدنيّة الذين لم ينزعجوا من تدخّلات رأس سلطة دينيّة (تحمي رياض سلامة) في سنّ سياسة لبنان الخارجيّة ـ أنّ قوّة معارضة ومقاومة 17 أيّار، هي اليوم أقوى بكثير ممّا كانت عليه. وإذا ساوره شكّ بذلك، فليجُل على مدن وقرى مناطق واسعة من لبنان، ويطرح مشروعه عليهم.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

هجوم فاجر ودفاع مدمّر وقاصر

سعد الله مزرعاني*

تُطوِّر القوى المناوئة لفريق ما كان يُسمى بـ8 آذار، مضافاً إليه «التيار الوطني الحر»، نهجاً هجومياً متواصلاً ومتصاعداً. هو في الواقع، أيضاً، وربما أساساً، صدىً لهجوم شامل تقوده في لبنان والمنطقة، الإدارة الأميركية بالتنسيق الكامل مع العدو الصهيوني. نجح هذا الهجوم في تعبئة قوى سياسية وشعبية واسعة. هذه الأخيرة متضرّرة، أساساً، من السياسات العامّة والنهج الاقتصادي اللذين كان تحالف قوى 14 آذار (سابقاً) قد اعتمدهما. هذان أدّيا، كما هو حاصل بشكل مأساوي حالياً، إلى الخراب والفشل والأزمة الشاملة التي تعاني منها الأكثرية الساحقة من اللبنانيين.

جنّد هذا الفريق الخارجي والداخلي قوى سياسية وشعبية وأدوات إعلامية فعّالة دولية وإقليمية ومحلية. مارست قيادته الخارجية أشكالاً من التدخّل المباشر في الشأن الداخلي اللبناني مع الأطراف السياسية والأهلية (الحزبية والمدنية)، متجاهلة ومتخطية المؤسسات الرسمية. وقد حقق الفريق المذكور إنجازات بارزة ضد الفريق الآخر ووضعه في موقع دفاعي على المستويات كافة.

في مجرى ذلك، وبتكامل بين الفعل السياسي والإعلامي والنشاط الميداني، وبتصعيد وفجور وهجومية موصوفة، بلوّر هذا الفريق سياسات بديلة وعناوين أساسية. من تلك السياسات، الدعوة إلى «حياد» لبنان التي أوكَل إعلانها (للانتقاص أيضاً من التمثيل الماروني للرئيس عون) للبطريرك بشارة الراعي. «الحياد» من «عدّة الشغل» القديمة. وهو رغم تقطع المطالبة به، قد عنى دائماً الابتعاد عن الصراع العربي ـ الصهيوني. وقد رُفع هذا الشعار حتى في ذروة العدوانية الصهيونية كما تجسّدت في احتلال نصف لبنان عام 1982. واقعياً، ورغم المواربة، فقد عنى ذلك الشعار الالتحاق بالمشاريع الغربية في المنطقة، ولو تطلّب الأمر استدعاء الأسطول السادس، كما حصل عام 1958، والغزو الإسرائيلي عام 1982، والترحيب بعدوان 2006 من دون قيد أو شرط! «الحياد» اليوم هو النسخة اللبنانية المطلوبة أميركياً للمساهمة في إنجاح «صفقة القرن» الأميركية ـ الصهيونية. هو يستهدف وجود مقاومة مسلّحة لعبت دوراً مميّزاً في التحرير، وأقامت بنية راسخة ضد اعتداءات الصهاينة، قادرة على الردع وعلى تحفيز ودعم المقاومة ضد العدو بما يتعدّى النطاق اللبناني.

في الداخل، يقوم مشروع الفريق المرتبط بالرياض وواشنطن على استغلال الأزمة الكوارثية الراهنة، لإلحاق لبنان بالمحور المذكور وثالثه الإسرائيلي. وهو يتوسّل «هركلة» وإسقاط رموز سياسية رسمية وغير رسمية معها المؤسسات، وإحلال سلطة يفرضها هو، باسم «الحياد» محلّ السلطة القائمة. وقد قدّم نماذج عن ذلك في الشعارات والممارسات التي كان من بينها «احتلال» وزارات واستقالة نواب واقتحام مؤسسات باستخدام العنف والتكسير... يستمر هذا الهجوم، وسيتصاعد حتى رغم «الخيبة» النسبية بسبب قرار المحكمة الدولية، ورغم عدم توصّله إلى بناء حلف متماسك يضم جميع أفرقائه الغارقين في الفتويات وبتنوّع المقاربات والحسابات والمرجعيات...

على الطرف الآخر، المشهد بائس ويفتقر المعنيون به إلى المبادرة! بعد مقاطعة حكومة حسّان دياب والاستقالات، بدا فريق 8 آذار والتيار العوني مسؤولين عن كامل السلطة؛ إمساكاً وتمسّكاً ومواصلة للسياسات إياها التي أدّت إلى الفشل والخراب والإفلاس. بعض المواقف المختلفة لا يرتقي إلى مستوى الخيارات الجديدة المطلوبة. التباين بين أطراف هذا الفريق كبيرة، كما الأولويات والمقاربات. «كلّن يعني كلّن»، بدا وكأنه ينطبق على هذا الفريق دون سواه، بعدما حيَّد الشركاء الآخرون أنفسهم بالاستقالة وبالمقاطعة وبالحركة في الشارع. شعارات من نوع المطالبة بدولة «مدنية» وبتطبيق الدستور افتقدت، مرة جديدة، إلى المصداقية، لأنّ مطلقها (الرئيس نبيه بري) هو من كان المعني من موقعه الرسمي خصوصاً، بعدم تطبيقها أو بتعطيلها. شعار عدم الموافقة على استفراد مكوّن لبناني (كما عبّر باسيل)، لا معنى له حين يُستفرد كلّ الشعب اللبناني بتحمّل كوارث الأزمة من دون «إصلاح أو تغيير». محاربة الفساد نكتة سمجة، مطلوب يكون المطلوب أن يبدأ صاحب الشعار بنفسه وبفريقه قبل الآخرين. لا ينبغي أيضاً نسيان أنّ فريقاً من قوى 8 آذار يقود معاركه الخاصة، داخل الفريق وليس خارجه؛ فضلاً عن أنّ أطرافاً منه كانت من ثوابت السلطة ومن أبرز أطرافها، في الثلاثين سنة الماضية. بعضٌ ما يطرح من مقاربات بشأن «التوجّه شرقاً»، كان أقرب إلى المناورة. «خطة الإنقاذ المالية» لحكومة دياب، أجهضها فريق 8 آذار قبل المصارف والفريق الآخر، فضلاً عن إسقاط كل الحكومة بضربة واحدة!

الأسوأ أنّه ليس في جعبة معظم فريق السلطة الراهنة، سوى العودة مباشرة إلى السلطة، وعلى أساس النهج السابق نفسه، وبرئاسة سعد الحريري. والحريري لا يجرؤ على العودة من دون ضوء أخضر سعودي، أي سلفاً، عبر حكومة يجري فيها إقصاء حزب الله كمقدمة للنيل منه، وخصوصاً من سلاحه.

التكافؤ، إذن، منعدم. هذا ما يشجّع الفريق المناوئ على المُضي في الهجوم، أملاً في تحقيق انتصار كاسح. لا يخفى أنه في ظلّ تباينات أشرنا إليها وتحولات محتملة لن يبقى فريق 8 آذار وعون متماسكاً. الأرجح أن يلجأ طرف أو أكثر إلى المساومة على حساب المقاومة، إذا ما استمرت الوتيرة الحالية من الضغوط والأسلوب الراهن الفاشل في مواجهتها (أو عدم مواجهتها!).

لا ينبغي أن يستمرّ الوضع على هذا النحو. قراءة جديدة وجدية مطلوبة لإحداث انعطافة في خطط وسياسات فريق السلطة الراهنة. الصمود و«العناد» لا يطعمان جائعاً ولا يغيثان مشرّداً أو منهوباً أو مسرَّحاً من عمله أو خاسراً بيته ومصدر رزقه... ليس الوضع سهلاً. «قوة العادة»، في المراوحة في المواقف والمقاربات، لن تؤدّي سوى إلى مفاقمة النقمة والأزمة... لمصلحة الفريق الآخر.

بين السلطة الراهنة المشاركة بشكل كبير في المسؤولية عن الأزمة، وبين جناحها اليميني العنصري المرتبط بالخطة الأميركية الصهيونية، لا بدّ من اشتقاق خيار مختلف. لا بدّ لهذا الخيار المنشود من مبادر، ومن شركاء لمصلحة إنقاذ لبنان وشعبه وصيانة إنجازاته. هنا تكمن مسؤولية المقاومة ومسؤولية الطرف الوطني المشتت وغير المبادر وغير الفعّال!

* كاتب وسياسي لبناني

سوريا

أكثر من مليون مدني بلا مياه: جريمة تركية جديدة في الحسكة

في ما يمكن وصفه بـ«جريمة حرب» تُرتكب بحق أكثر من مليون مدني، عمدت تركيا، مجدّداً، إلى قطع المياه عن مدينة الحسكة وأريافها، بعدما تعمّدت خلال الشهرين الأخيرين تشغيل محطّة علوك، المغذّي الرئيس للمدينة، بحدودها الدنيا. وفيما تتواصل المفاوضات بين الجانبين الروسي والتركي من أجل إيجاد حلّ للأزمة، يُعلي أهالي الحسكة أصواتهم بالمطالبة بتصعيد الضغوط على أنقرة لإرغامها على وقف جريمتها

تُنذر الأزمة بكارثة إنسانية في ظلّ نفاد أغلب الكميات المخزّنة (أ ف ب)

الحسكة - **أيهم مرعي**

يتداول الكثيرون من سكّان الحسكة صورة لرجل ثمانيني يستعير كرسي الإعاقة من ابنه، لينقل به 20 ليتراً من المياه، في ترجمة لحالة الخدمات الكسيحة في المحافظة، بفعل سياسات الاحتلالَين الأميركي والتركي، ومحدودية سلطة الدولة السورية هناك. التفاعل مع تلك الصورة تصاعد بعدما أوقف الجانب التركي، مجدّداً، ضخّ المياه

انخفض الوارد المائي من 100 ألف متر مكعّب إلى أقلّ من 20 ألفاً خلال الشهرين الأخيرين

من محطّة علوك، للمرة الثالثة عشرة على التوالي منذ احتلاله رأس العين وأريافها، ليترك أكثر من مليون مدني في الحسكة وأريافها من دون أيّ مصدر مائي. وتبدو المشكلة هذه المرّة مضاعفة، في ظلّ الحاجة المتزايدة إلى المياه ضمن الإجراءات الوقائية لمنع تفشّي فيروس كورونا، والذي سجّلت المحافظة رسمياً 22 إصابة به، إضافة إلى الارتفاع الحادّ في درجات الحرارة. وسبق إيقاف الضخّ من المحطّة تعمّدُ الجانب التركي تخفيض الوارد المائي إلى مستويات متدنية جداً، في محاولة للضغط على الجانبين السوري والروسي، ودفعهما إلى إرسال ورشات لصيانة خطوط الكهرباء في مدينة رأس العين، بما فيها خطوط تغذّي مراكز الجماعات المسلّحة. وقوبلت الخطوط التركية الأخيرة بقيام «الإدارة الذاتية» الكردية بفصل التغذية الكهربائية عن محطّة كهرباء مبروكة، ما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي عن رأس العين وتل أبيض وأريافهما.

وتُنذر أزمة المياه في الحسكة، والتي بلغت اليوم العاشر في المدينة وأريافها والثاني والعشرين في الأحياء الشمالية منها، بكارثة إنسانية، في ظلّ نفاد أغلب الكميات المخزّنة من مياه الشرب والاستهلاك، وعجز الصهاريج عن تلبية احتياجات السكان. ويشرح مدير مؤسّسة المياه في الحسكة، محمود العكلة، لـ«الأخبار»، واقع المياه منذ احتلال الجيش التركي والمجموعات المسلّحة التابعة له محطّة مياه علوك في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر 2019. يقول العكلة إن «تركيا قطعت المياه عن نحو مليون مدني في الحسكة وأريافها للمرة الثالثة عشرة منذ احتلالها المنطقة، لترتكب بذلك جريمة حرب موصوفة، حرمت خلالها المدنيين من المصدر المائي الوحيد المتوفر لهم». ويكشف العكلة عن «تعمّد الاحتلال التركي خلال الشهرين الأخيرين تشغيل المحطة بحدودها الدنيا، ما أدّى إلى انخفاض الوارد المائي من 100 ألف متر مكعب إلى أقلّ من 20 ألف متر مكعب»، مضيفاً أن «هذه الممارسات أدّت إلى ارتفاع الأمراض، وعدم وصول المياه إلا كلّ 12 يوماً لكلّ حيّ من أحياء المدينة». ويلفت إلى أن «المفاوضات مستمرة بين الجانبين الروسي والتركي لإيجاد حلول، وإعادة ضخّ المياه إلى المدينة».

وفي هذا الإطار، يلفت مصدر مطّلع على مسار المفاوضات، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «محافظ الحسكة أبلغ الجانب الروسي إصرار الحكومة السورية على تشغيل المحطة بطاقتها القصوى، وإعادة عمال التشغيل والصيانة إليها، مع ضمانات بعدم خفض الوارد من المحطة»، مشيراً إلى أن «الجانب التركي يصرّ على الاتكال على الجانب الحكومي لتخديم مناطق احتلّها مؤخراً، مع تشغيل المحطة بعمال يتبعون للمجلس المحلي التابع للأتراك في المدينة». بناءً عليه، تتوقع مصادر مطّلعة على القضية أن «تتواصل الجهود الحكومية والروسية لإعادة تشغيل محطّة علوك بطاقتها القصوى وإعادة العمّال إليها، مقابل الاكتفاء بتغذية تل أبيض ورأس العين بالكهرباء من محطّة مبروكة، من دون التدخل في أعمال الصيانة».

وفي ظلّ المخاوف من امتداد عمر الأزمة، واحتمال استمرار الجانب التركي في تعنّته، أعلنت «الإدارة الذاتية» الكردية إدخال 25 بئراً من آبار محطة الحمة إلى الخدمة، وبدء الضخّ باتجاه أحياء المدينة اعتباراً من يوم الأحد. على أن هذا الإعلان يبدو شكلياً فقط، بهدف تصعيد الضغوط على أنقرة من بوابة وجود بدائل لمحطّة علوك وإمكانية الاستغناء عنها مستقبلاً. ومما يؤكّد ذلك، حقيقة أن الطاقة الإنتاجية لآبار الحمة التي أعلن إدخالها في الخدمة غير قادرة على توفير إلا أقلّ من 10% من حاجة المحافظة، والبالغة يومياً أكثر من 80 ألف متر مكعّب من المياه.

في هذا الوقت، أطلق عدد من أهالي الحسكة حملة «استغاثة» على مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان «الحسكة تختنق عطشاً»، في محاولة للفت الأنظار إلى مأساتهم. ويقول أحد منظّمي الحملة، لـ«الأخبار»، إن «الغاية منها لفت النظر إلى جريمة حرب تُرتكب بحق مليون مدني، يعانون من فقدان ونقص في مياه الشرب منذ عدة أشهر»، مضيفاً أن «الهدف هو إيصال الصوت للمنظمات الدولية والأمم المتحدة للضغط على تركيا ولجمها، ومنعها من استخدام المياه كورقة ابتزاز في حربها على الشعب السوري». ويشدّد على ضرورة أن «تستخدم الدولة السورية ورقة السماح لتركيا بإمداد نقاطها المحاصَرة في حلب وحماة وريف إدلب بالمؤن، مقابل ضخّ المياه إلى الحسكة، لتكون ورقة ضغط حكومية إضافية على الجانب التركي».

الحدث

التحشيد في ليبيا ينتهي إلى... هدنة!

مسار سياسي جديد ينفتح تدريجياً في ليبيا عقب إعلان وقف إطلاق النار أمس. صحيح أن كثيراً مما احتواه الإعلان لن يتحقق، كما ترى القاهرة، لكنّ هناك تعويل كبير على توقيع تفاهم خاصة مع وجود رغبة مصرية ـ تركية في الحوار لا بأس تخص الطرفين

القاهرة ـ **رمزي باشا**

على نحو مؤقت، دخلت الأزمة الليبية هدنة عسكرية حتى إشعار آخر بعد قرار حكومة «الوفاق الوطني» برئاسة فائز السراج وقف النار من جانبها، في خطوة جاءت بالتنسيق مع رئيس البرلمان عقيلة صالح، مقابل صمت كامل من «الجيش الوطني» بقيادة المشير خليفة حفتر، ووسط ترقب لما ستسفر عنه المبادرة، بعدما أعلن «المجلس الرئاسي» في طرابلس خريطة لإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية خلال آذار/مارس المقبل. ورغم أن الرؤية المصرية تقول باستحالة إجراء الانتخابات في هذا التوقيت من جراء الخلافات على القاعدة الدستورية التي يمكن أن تجرى على أساسها الانتخابات، وهو ما يتطابق مع مواقف الإمارات والسعودية، ثمة تحركات بدأت فور إعلان الهدنة، وذلك لاستغلال الفرصة وعقد اجتماعات سياسية هدفها مناقشة المقترح ومحاولة إجراء انتخابات.

على عكس الموقف المصري العلني الرافض للتعاون مع السراج، أبدت السلطات ترحيباً بإعادة استقبال الرجل في القاهرة قريباً، على أن يؤكد له البدء سريعاً في المفاوضات من أجل حل يرضي الجميع. وبينما يرى الأطراف المعنيون بالأزمة صعوبة قبول قوات حفتر إخلاء سرت والجفرة من السلاح كلياً، فإن مقترح تشكيل جهاز شرطي من «الوفاق» و«الوطني» لمتابعة الترتيبات الأمنية في المنطقة الغنية بالنفط حتى إجراء الانتخابات يحظى بمناقشة مستفيضة حالياً، خاصة مع صالح الذي يعدّ حلقة الوصل بين حفتر والسراج الآن، إذ يدعم البرلمان الليبي تحركات «الوفاق»، مع أن بعض الأطراف يتخوف من أن قرارها وقف النار لعبة سياسية لإظهار رفض حفتر العملية السياسية، فضلاً عن أن قيادات في «المجلس الرئاسي» ستسعى إلى الفوز بمناصب مهمة في الانتخابات المقبلة في حال إجرائها. وثمة إمكانية كبيرة لعودة العمليات العسكرية بصورة أكثر حدة في أي وقت، إذا أخفقت المفاوضات، خاصة مع استغلال الوقت لجلب المزيد من المقاتلين والأسلحة التركية عبر المتوسط.

لكن هذه الرؤية تتعارض مع المطلب الأميركي بتهدئة الأوضاع، والوساطة التي قامت عليها واشنطن في الأيام الماضية، سواء مع المسؤولين الليبيين أم العواصم المؤثرة في الأزمة، خاصة القاهرة وأنقرة والدوحة وأبو ظبي، وخلصت إلى استبعاد مؤقت لمقترح مجيء قوات أجنبية إلى منطقة الهلال النفطي خلال الأسابيع المقبلة، خاصة أن بيان «المجلس الرئاسي» سيجري الحوار السياسي بناءً عليه. وبالتوازي، يتبادل الأطراف المعنيون اتصالات مكثفة من أجل الوصول إلى صيغة اتفاق مع عرض مصري لاستضافة المفاوضات، مقابل اتجاه يدعو إلى إجرائها في عاصمة أوروبية من أجل استكمال مخرجات «مؤتمر برلين»، علماً بأن الجهود التي تقودها الأمم المتحدة لن تكون مؤثرة في بلد مزقته الحرب خلال السنوات الستة الماضية.

خلال التفاوض، هناك قضايا بمكانة قنابل ملغومة على طاولة الحوار، في مقدمتها وضع الميليشيات المسلحة، ووضع المرتزقة الذين وصلوا من سوريا عبر تركيا. إضافة إلى المتورطين في جرائم القتل طوال السنوات الماضية، وهل سيسمح لهم بالعودة إلى الحياة السياسية، فضلاً عن دور «المجلس الرئاسي» والجيش في تنظيم العملية الانتخابية المقبلة وقواعد بيانات الناخبين. لذلك، يسعى رئيس البرلمان حالياً إلى إقناع طرفي الصراع بالاجتماع سريعاً لمناقشة التفاصيل الأولية مع تهدئة الشارع وعودة الحياة إلى طبيعتها في العاصمة والمدن المحيطة، مع وقف الاشتباكات والسماح بحرية التنقل بين المدن، في خطوات ستكون فارقة في مرقئة الحرب خلال السنوات التسع الماضية.

ومع رجحان جدية وقف النار، بدأت «المؤسسة الوطنية للنفط» إعادة العمل من أجل استئناف إنتاج النفط وتصديره مع تجميد الإيرادات لدى «مصرف ليبيا الخارجي» حتى التوصل إلى ترتيبات سياسية شاملة، وأيضاً إخلاء جميع المنشآت النفطية من القوات. وهو ما يتوقع أن يتم نهاية الأسبوع المقبل. ورغم الخلاف المصري ـ التركي في قضايا كثيرة، فإن القاهرة أبدت ترحيباً بالتنسيق مع أنقرة في الملف الليبي، وسط ترجيحات مصرية بأن تكون خطوة طرابلس محاولة لتهدئة الأزمة من جانب تركيا بسبب الصدام الراهن بينها وبين اليونان بشأن الحدود البحرية والتنقيب عن الغاز في المتوسط، وهو اعتقاد يدفع المصريين نحو تسريع الحل السياسي وإجراء الانتخابات تحت إشراف أممي ورقابة دولية «تضمن وصول ممثلين حقيقيين عن الشعب إلى السلطة بغض النظر عن انتماءاتهم»، كما تقول مصادر مواكبة.

يعد عقيلة صالح (يسار) حلقة الوصل بين حفتر (يمين) والسراج الآن (أرشيف)

فلسطين

إعادة تفعيل «القصف بالقصف»

غزة على أعتاب مواجهة؟

مع تهديد المقاومة بالردّ على أيّ قصف إسرائيلي لمواقعها مقابل تصديف جيش العدوّ على خطّة استعداد «الجبهة الجنوبية» لكلّ السيناريوات. تزداد احتمالات وقوع مواجهة عسكرية جديدة في غزة، في ظلّ استمرار تعثّر تفاهمات التهدئة. وعجز الوسطاء عن إيجاد حلّ إلى الآن

غزة - **رجب المدهون**

تزايدت، أمس، وتيرة التصعيد ما بين المقاومة الفلسطينية والعدوّ الإسرائيلي؛ إذ أطلقت المقاومة رشقات صاروخية على مستوطنات «غلاف غزة» بعد استهداف العدوّ مواقع لها داخل القطاع، عمليةً أتبعتها «غرفة العمليات المشتركة» للفصائل بالتهديد بأنها «لن تسمح للعدوّ باستمرار الحصار»، والتأكيد أن «من حقّ أبناء الشعب الفلسطيني التعبير بكلّ الوسائل المناسبة عن رفضهم له»، وأنها لن تقبل اتخاذ الاحتلال «الأدوات السلمية، كالبالونات وغيرها، ذريعة لقصف مواقع المقاومة». وعلمت «الأخبار»، من مصادر في المقاومة، أن الفصائل اتفقت على الردّ على قصف المواقع على نحو فوري ومنسّق «وفق قواعد الاشتباك المتّفق عليها»، إضافة إلى التفاهم على طريقة الردّ في حال أقدم العدو على تنفيذ تهديداته بعودة سياسة الاغتيالات، وذلك بـ«ردّ كبير جداً ومنسّق ضدّ أهداف محدّدة سلفاً»، على أن يكون «في الوقت المناسب». وكان مصدر عسكري فلسطيني قد قال، لـ«الأخبار»، إن «المقاومة أوصلت رسالة عبر الوسطاء بأنها ستردّ بصورة كبيرة وقوية» في حال أقدم الاحتلال على تنفيذ اغتيال، وأنها سترى في ذلك إعلاناً للحرب «التي ستحرق فيها المقاومة تل أبيب بالآف الصواريخ، وبما لا يتوقعه الاحتلال». ولأول مرة منذ بداية الضغط الميداني على حدود القطاع، ردّت المقاومة على قصف مواقعها بإطلاق قذائف صاروخية على المستوطنات، ما أدى إلى إصابة منزل في مستوطنة «سيديروت» بشكل مباشر من دون وقوع إصابات، في حين تواصل إطلاق البالونات المتفجّرة على طول الحدود، ما تسبّب في أكثر من 70 حريقاً خلال اليومين الماضيين.

في المقابل، وبعد إعلان العدو خطّته للمواجهة مع غزة، وجّه وزير الأمن الإسرائيلي، بيني غانتس، أمس، رسالة تهديد مصوّرة، بعد انتهاء جلسة تقييم للوضع في غزة، بمشاركة رئيس هيئة الأركان أفيف كوخافي، وقائد المنطقة الجنوبية اللواء هرتسي هليفي، وقائد «فرقة غزة» العميد نمرود ألوني. وقال غانتس: «حركة حماس ستتلقى ضربة قاسية جداً إذا استمرّت في التصعيد. الجيش مستعدّ ويدافع وسيواصل حماية سكان الجنوب، ويهاجم مَن يهاجمنا ويلحق أضراراً بالغة بهم». مع ذلك، رأى المحلّل العسكري في موقع «والا» العبري، أمير بوخبوط، أنه على رغم أن الحرائق في مستوطنات «غلاف غزة» بلغت ذروتها، فإن الجيش «ليس في عجلة من أمره للتصعيد ضدّ حماس، من أجل السماح للاتصالات والجهود بمنع القتال»، مضيفاً: «تُبذل جهود دولية لزيادة المساعدات لغزة. المسؤولون الأمنيون يقولون إن الوضع لا يطاق، وإذا لم تهدأ حماس فسنستعدّ لأيام من القتال». بالتوازي مع ذلك، كشفت «القناة الـ13» العبرية عن تعزيز جيش العدوّ منظومة «القبة الحديدية» قرب حدود القطاع، ضمن استعداداته للتصعيد الذي قد يستمرّ لأيام أو أسابيع. كما بدأ الاحتلال، أمس، تطبيق قرار بحظر النشاط الزراعي في المناطق القريبة من غزة، إضافةً إلى إغلاق مزيد من الطرق المؤدية إلى الحدود.

صدق جيش العدو على خطة استعداد «الجبهة الجنوبية» لكل السيناريوات

وعلى رغم حالة التصعيد تلك، تتحدّث وسائل الإعلام العبرية عن تخوّف من أن يؤدي الوضع الراهن إلى تعطيل العام الدراسي المقرّر انطلاقه مطلع الشهر المقبل. «المفاوضات مع حماس تجري تحت النار، لكن مسدّس إسرائيل خالٍ من الرصاص»، يقول المحلل العسكري، رون بن يشاي، الذي يرى أن «حماس تدرك أن إسرائيل ليست معنية بالتصعيد»، داعياً سكان المستوطنات إلى أن يدركوا أن «البالونات والصواريخ لن تتوقف قريباً، لأن حماس لا تريد تليين مواقفها، بل تصرّ على تحقيق مطالبها». أما المراسل العسكري، نوعم أمير، فكتب أن «المنظومة الأمنية والجيش الإسرائيلي يقفان أمام معضلة، إما رفع ضبط النفس عن غزة، وإما الاستجابة لمطالب حماس ورفع العقوبات».

مستوطن من «سيديروت» يتفقد الأضرار الناجمة عن صاروخ فلسطيني (أ ف ب)

تقرير

لقاء ترامب - الكاظمي: وعود أميركية في التوقيت الميّت

التقى مصطفى الكاظمي بدونالد ترامب في توقيت يصفه البعض بـ«الميّت» (مع اقتراب إجراء الانتخابات الأميركية، وانشغال البلاد بها)، وهو ما يشكّل سبباً كافياً لتثبيط تفاؤل فريق رئيس الوزراء. على أن الأخير يعوّل على أن تفيده الزيارة في تكريس «التوازن في العلاقات الخارجية». وهو ما تقابله أثمان مطلوبة من بغداد، يبدو أنها ستدفع نحو مزيد من التأزيم في المشهد السياسي

بغداد - **الأخبار**

في لقائه رئيس الوزراء العراقي، مصطفى الكاظمي، والذي وُصف بأنه «الجولة الثالثة» من الحوار الاستراتيجي بين البلدين، أكد الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، ما كان مسؤولوه قد أبلغوه غير مرّة لبغداد، من أن قوّات بلاده «ستغادر العراق»، من دون أن يحدّد جدولاً زمنياً لذلك، لافتاً إلى أن إدارته «قلّصت تواجدها هناك إلى مستوى منخفض جدّاً». وفيما نقلت وكالة «فرانس برس» عن مسؤول أميركي قوله إن «لا يوجد جدولُ زمني أو أرقام ثابتة، لكن الموضوع سيكون مطروحاً على الطاولة أثناء تقييمنا لاحتياجات العراق الأمنية»، أعرب الكاظمي عن تمسّكه بوجود «المستشارين (الأميركيين) للحاجة إلى التدريب وبناء الإمكانيات والتعاون الأمني». وكانت التسريبات في شأن اللقاء الذي جمع الكاظمي بقائد «قوّة القدس» في الحرس الثوري الإيراني، إسماعيل قاآني، قبيل توجّهه الأوّل إلى واشنطن بساعات، أشارت إلى تمسّك دوائر القرار في إيران بمسألة انسحاب قوات الاحتلال الأميركي بوصفها «خطاً أحمراً لا يمكن تجاوزه»، وضرورة تبنّي بغداد اتهاماً واضحاً وصريحاً لواشنطن باغتيال قائد «قوّة القدس» السابق قاسم سليماني ونائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس.

وإلى جانب مسألة الانسحاب، بدا لافتاً، في لقاء الكاظمي - ترامب، التشديد على التعاون في مختلف المجالات، وهو ما عدّته مصادر مقرّبة من الكاظمي انعكاساً لـ«العلاقات العراقية المتوازنة» بين معسكرَي واشنطن وطهران، واصفةً الزيارة بـ«الإيجابية جدّاً»، لكن مصادر مطّلعة وصفت ذلك بأنه «مبالغ فيه»، راصدة في الزيارة ثلاثة أبعاد رئيسة: سياسي، واقتصادي - أمني، وإعلامي. وتعتبر المصادر الأخيرة أن الإدارة الأميركية الحالية ترغب في إظهار دعمها الكاظمي على أبواب الانتخابات المصلحة من خارج الحدود كالأميركيين أو الإيرانيين، أو حتى داخلياً كـ«المرجعية الدينية العليا» (آية الله علي السيستاني)، التحكّم بخيوط المعادلة لتصحيحها أو تسييرها». مع ذلك، يعتقد هؤلاء «(أننا) أمام معادلة سياسية هشّة ومعقّدة»، ولذا «فإن الرحلات الخارجية ومذكّرات التفاهم لن تكون كافية على الإطلاق لتصحيح الحال وإيقاف نزيف اللادولة».

يُجمع بعض الدبلوماسيين على أن المشهد العراقي أمام معادلة سياسية هشة ومعقّدة

وهو ما تُعلّق عليه مصادر دبلوماسية بأن «أغلب هؤلاء يقاربون المشهد من منطلق أن القوى الخارجية هي المتحكّمة بمفاصله، وهنا ثمة خلَلٌ أو سوء تقييم للمعادلة الداخلية العراقية»؛ فـ«المشهد اليوم يعتمد بشكلٍ كبير على التماسك السياسي الداخلي، ولا يُمكن لأصحاب المصلحة من خارج الحدود كالأميركيين أو الإيرانيين، أو حتى داخلياً كـ«المرجعية الدينية العليا» (آية الله علي السيستاني)، التحكّم بخيوط المعادلة لتصحيحها أو تسييرها». مع ذلك، يعتقد هؤلاء «(أننا) أمام معادلة سياسية هشّة ومعقّدة»، ولذا «فإن الرحلات الخارجية ومذكّرات التفاهم لن تكون كافية على الإطلاق لتصحيح الحال وإيقاف نزيف اللادولة».

هنا، ثمّة من يتساءل عن سبب الإفراط في التفاؤل بزيارة الكاظمي، التي تأجّلت لأربع مرات أصلاً؟ وماذا لو خسر ترامب الانتخابات وفاز غريمه جو بايدن فيها، علماً أن الأخير لن يكترث لأمر العراق قبل حزيران/ يونيو المقبل؟

ولم يغب الجانب الاقتصادي عن لقاء ترامب - الكاظمي، في ظلّ تشديد الأميركيين على ضرورة «تفعيل بعض الاتفاقيات المجمّدة من قِبَل الإدارة العراقية». وقال ترامب إن «مسائل عسكرية ومشاريع نفطية، إضافة إلى شؤون التنمية، كانت على جدول الأعمال»، لافتاً إلى أن «شركات أميركية تشارك في العديد من مشاريع التنقيب عن النفط في العراق». وهذا ما ركّز به الكاظمي بوصفه «استثمارات خارجية». واعلنت وزارة الطاقة الأميركية، في بيان، إن «شركات هانيويل إنترناشونال وبيكر هيوز وجنرال إلكتريك وستيلر إنرجي وشيفرون وقّعت اتفاقيّات بقيمة تصل إلى 8 مليارات دولار مع وزيرَي النفط والكهرباء العراقيين». اتفاقيّات لم تنل رضى «تحالف الفتح» (تجمّع الكتل المؤيّدة لـ«الحشد الشعبي»)، والتي دعت إلى مساءلة الكاظمي قريباً، في ما يؤشّر إلى أن المشهد السياسي ربما يكون مقبلاً على تأزّم جديد، خاصة إذا لم تُرَقْ مقاربة رئيس الوزراء للمسائل الأمنية، خصوصه من مؤيدي «الحشد» والمقاومة.

ملف

الشرق الأوسط في الانتخابات الأميركية: بايدن يحيي إرث أوباما

وليد شرارة

إحدى المهام الأساسية التي حدّدها المرشّح الديمقراطي للانتخابات الرئاسية الأميركية، جو بايدن، لنفسه، في حال فوزه، هي إعادة بناء السياسة الخارجية لبلاده. ففي مقال نشره في عدد آذار/ نيسان من "فورين أفيرز"، رأى بايدن أن "الرئيس ترامب استهان بحلفاء الولايات المتحدة وشركائها، واضعفهم وتخلّى عنهم في بعض الأحيان... لقد جرّأ خصومنا علينا، وبَدّد قدرتنا على مواجهة تحدّيات لأمننا القومي من كوريا الشمالية إلى إيران، ومن سوريا إلى أفغانستان، من دون نسيان فنزويلا. وهو قد شنّ حروباً تجارية غير

> **يدرك بايدن وفريقه أن التوصّل إلى صيغة جديدة ومعدّلة للاتفاق النووي لن يكون سهلاً**

محسوبة النتائج ضدّ أعداء الولايات المتحدة وأصدقائها، أضرّت بمصالح الطبقة الوسطى الأميركية، وتنازل عن قيادة بلادنا للجهد الجماعي المطلوب للتصدّي لتهديدات جديدة، خاصة تلك التي برزت في هذا القرن". بعد هذا التقييم لسياسة منافسه الخارجية، يستعرض بايدن الخطوات التي ينوي اتخاذها لتصحيح المسار، وتمكين بلاده، عبر إحياء تحالفاتها ودورها القيادي، من التعامل مع الخطر الأهمّ على موقعها الريادي في رأس هرم النظام الدولي، وهو الصين. يقول المرشح الديمقراطي: "تُمثّل الصين تحدّياً فريداً. لقد أمضيْتُ ساعات طويلة مع قادتها، سمحت لي بفهم حقيقة مَن يقف في مقابلنا. تراهن الصين على المدى الطويل على سعيها لتوسيع دائرة تأثيرها، والترويج لنموذجها السياسي والاستثمار في تكنولوجيات المستقبل... الأسلوب الأفعل لمواجهة هذا التحدّي هو بناء جبهة موحّدة مع حلفاء الولايات المتحدة وشركائها للتصدّي لسلوك الصين التعسّفي وانتهاكاتها لحقوق الإنسان". يتّضح من المقال الذي يتطرّق إلى العديد من الموضوعات والذي يتضمّن كذلك بعداً ايديولوجياً واضحاً، أن مقاربة بايدن للوضع الدولي مطابقة لتلك التي طرحها الرئيس السابق باراك أوباما، في خطابه الشهير عن الاستدارة نحو آسيا، وأن الأولوية التي ستحكم سياسة بلاده الخارجية هي احتواء صعود الصين. تترتّب على هذا الأمر استعادةُ للمنطلقات العامة لسياسة أوباما حيال الشرق الأوسط، مع تعديلات في تفاصيلها تأخذ في الاعتبار التغييرات الكبرى التي جرت في الإقليم والعالم منذ تلك الفترة، بهدف التوصّل إلى ترتيبات وتسويات قد تكون ظرفية، لتُركّز واشنطن على "أمّ معاركها" مع بكين. على خطى أوباما، سيعود بايدن إلى منطق "فكّ الاشتباك" مع إيران. تجنّب التورّط في سياسات تصعيدية كتلك التي تعتمدها إدارة ترامب، والتي يُحتمل أن تتدحرج إلى حرب كبرى يريدها جناحها الأيديولوجي - العقائدي، سيكون مهمة مركزية بالنسبة إلى مَن يبغي التفرّغ لصراع شاقّ ومكلف مع قوة كالصين. مصادر على صلة بفريق بايدن أفادت "الأخبار" بأن الأخير مدرك أن التوصّل إلى صيغة جديدة ومعدّلة للاتفاق النووي مع إيران لن يكون سهلاً. بحسب هذه المصادر، فإن الفريق المذكور، على رغم تمسّكه بالاتفاق النووي، يعتقد بضرورة أن "يُستكمل" بجملة من الترتيبات تتيح قيام ما يشبه المنظومة الإقليمية الضامنة "للاستقرار"، وبما أن التهديد الأول "للاستقرار"، في عرف بايدن وفريقه، هو تطوير إيران قدرات عسكرية وباليستية و"تضخّم" نفوذها في الإقليم، فإن المطروح هو استخدام مجموعة من الضغوط والعروض "السخية" لتستطيع إدارته، بعد استعادتها زعامتها لمعسكر غربي موحّد بشكل فعلي، أن تحمل هذا البلد على تغيير سياسته والقبول بتفاهمات تنسجم مع الرؤية الأميركية. أول العروض "السخية" هو تحويل الاتفاق النووي إلى معاهدة تحظى بموافقة الكونغرس، بما يمنع أيّ رئيس أميركي في المستقبل من الانسحاب منها كما فعل ترامب. العرض "السخي" الآخر هو انفتاح اقتصادي وتجاري أميركي وغربي على إيران يؤدي إلى نموّ شبكة مصالح مشتركة معها. ووفقاً للمصادر المذكورة، فإن فريق بايدن سيُشجّع أيضاً على حوار إيراني - خليجي بإشرافه، يفضي إلى إزالة أسباب التوتر بين الطرفين وإلى تطبيع العلاقات بينهما. وفي هذا السياق، تشير المصادر إلى معارضة بايدن وفريقه لاستمرار الحرب السعودية على اليمن ودعوتهما إلى وقفها، وهو أمر حرص نائب الرئيس السابق على التشديد عليه في مقاله المذكور سالفاً. وبما أن موافقة طهران على إملاءات تتعلّق بشأن سيادي مرتبط بسياستها الدفاعية كبرنامجها الصاروخي، أو بتحالفات نسجتها خلال عقود مع أطراف تجمعها بهم علاقات وثيقة وأسهمت في تعزيز موقعها في مقابل سياسات الحرب والحصار والخنق، هي فرضية مستبعدة، في المدى المنظور على الأقلّ، فإن اللجوء إلى قدر من الضغوط الاقتصادية والمالية يبقى خياراً مطروحاً بالنسبة إلى الفريق الديمقراطي. لكن المؤكد، نظراً إلى الأولويات الاستراتيجية العامة على المستوى الدولي، أن خيار الحرب على إيران لن يكون "على الطاولة"، بحسب التعبير المستخدم من المسؤولين الأميركيين. هذا هو الدافع الرئيس لتصريحات أنصار إسرائيل العقائديين، أمثال جون بولتون، المتمحورة حول حضّ الأخيرة على ضرب إيران "قبل فوات الأوان".

مقاربة بايدن للوضع الدولي مطابقة لتلك التي طرحها أوباما في خطابه الشهير عن الاستدارة نحو آسيا (أ ف ب)

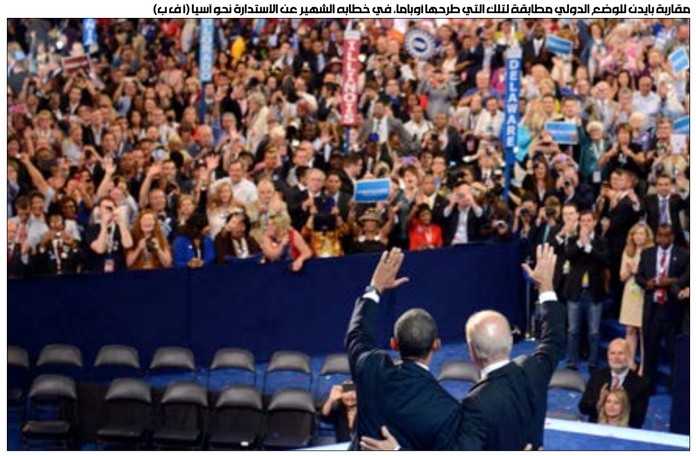

لم تتّضح حتى اللحظة مقاربة فريق بايدن للوضع في سوريا. فالعديد من الأعضاء الديمقراطيين في الكونغرس كانوا من أشدّ المتحمّسين لـ"قانون قيصر" الذي يفرض حصاراً خانقاً عليها، يهدف بالنسبة إلى أقطاب في إدارة ترامب، كجويل رايبرن، إلى تسريع انهيار الدولة وتفكيك المجتمع. يحذّر أطراف أميركيون، بينهم "كوينسي إنستيتيوت" الذي أصدر أخيراً تقريراً لهذه الغاية، من مغبّة اتّباع مثل هذه السياسة ومن تبعاتها على استقرار الإقليم. إذا كان ضمان حدّ أدنى من الاستقرار في الإقليم، أو حتى تخفيف مستوى التوتر، من بين أهداف فريق بايدن، فإن المضيّ في السياسة الحالية نفسها يتناقض مع تلك الأهداف. أما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، فإن الأكيد هو أن بايدن، الذي كرّر في مقاله "التزامه الصارم بأمن إسرائيل"، لن يعاود ما يراه "تورّطاً" في عملية تفاوضية غير ذات جدوى وقد تفضي إلى استعداء إسرائيل والمنظومة الداعمة لها في الولايات المتحدة. هو سيتواطأ تماماً مع سياسة الاستيلاء التدريجي على ما بقي من أرض فلسطين.

منذ فترة ليست قصيرة، دعا مسؤولون سابقون وخبراء أميركيون، صناع القرار في بلادهم، إلى عدم الإفراط في التركيز على صراعات الشرق الأوسط وتناقضاته، والالتفات إلى التحدّيات الاستراتيجية الجديدة، وفي مقدّمتها صعود قوى دولية منافسة كالصين وروسيا. وقد كان لهذه الدعوات تأثير على مقاربة بايدن لشؤون المنطقة، والهادفة أساساً إلى التخفّف من أعباء مثل هذا التركيز. غير أن عقبات ومصاعب كثيرة ستعترض طريق ترجمتها على أرض الواقع.

وقت ترامب الضائع: هامش المناورة يضيق

نادين شلق

شهران يفصلان عن الانتخابات الرئاسية الأميركية في الثالث من تشرين الثاني / نوفمبر. شهران كفيلان بترسيخ معادلات أو تغييرها، أو حتى بخلق أخرى تمنح الأحقية لمرشح على آخر، وتدير مزاج الناخب لصالح هذا على حساب ذاك. هي فترة ليست بسيطة في الحسابات الانتخابية، وكما يمكن أن تشهد تطوّرات، فقد تُستغل في سبيل إعادة الزخم إلى حملة دونالد ترامب، أو من أجل إثبات أن جو بايدن هو «المخلّص» من سياسات هذا الأخيرة، المعطوفة على تعاطي إدارته الفاشل مع تفشّي فيروس «كورونا»، ومع التظاهرات التي شهدها العديد من الولايات احتجاجاً على عنف الشرطة. الواقع الجديد الذي فرضته هاتان المسألتان، بعدما هيمنتا على الواقع الأميركي، أثبت أن موقف ترامب أمام ناخبيه بات متزعزعاً، وأنّ عدداً كبيراً من الأميركيين وجد أن رئيسه فشل في القيادة، عندما تعلّق الأمر بحدث مصيري. وفي نظرة سريعة إلى ما حصل في الأشهر الستة الأخيرة، يمكن تلخيص المشهد بالتالي: الرئيس الذي خطّط للفوز بأربع سنوات أخرى في البيت الأبيض، معتمداً على موافقة قوة تتمثل في الاقتصاد المزدهر، قابلته جائحة قضت على «إنجازاته»، ووضعته في مواجهة محتدمة مع بايدن، كان قبل ذلك في منأى عنها. وأمام عجزه اقتصادياً، سعى إلى اختيار مسائل جديدة تكون أساساً لحملته، كالتعهّد بـ«القانون والنظام» في المدن التي شهدت تظاهرات؛ واللعب على الوتر العرقي في أكثر من مناسبة؛ والهجوم المستمر على من سمّاهم «اليساريين الراديكاليين»، في مناورة هي جزء من «الحرب الثقافية» الأكبر التي يشنّها ضدّ ما يصفه بأنه «دفع من قبل السياسيين الليبراليين الأميركيين لشنّ حملة لا ترحم لمحو تاريخنا وتشويه سمعة أبطالنا...».

باختصار، إنها الـ«نحن ضدّهم»، وهي وسيلة قوية جداً في دولة شديدة الاستقطاب حول الإيديولوجيا الحزبية. ولكن بينما يُعرف ترامب ببراعته في تسخير سياسات الهوية وإذكاء المخاوف القومية لصالحه الانتخابي، فقد بدت قاعدته، هذه المرّة، غير مستعدّة لمساعدته على الفوز. الأسباب وراء ذلك كثيرة، ومن أبرزها تلك التي قادته سابقاً إلى البيت الأبيض، أي خطابه المتقلّب وأسلوبه الخاص، وارتجاله الحلول، إضافة إلى تفشّي جائحة «كورونا» في الولايات الجنوبية ذات الغالبية البيضاء، وفي الضواحي. فما هو معروف، أن ترامب يحظى بتأييد واسع بين الأميركيين البيض من ذوي الطبقة المتوسّطة، كما يروّج دائماً للدعم الجمهوري الساحق له. ولكن وفقاً لآخر الإحصاءات، يبدو أنّ ثقة جزء من الفئتين قد تزعزعت. فكيف يظهر ذلك؟

في نظرة سريعة، يمكن الإشارة إلى التركيبة السكّانية المتغيّرة للولايات المتحدة، ومن ضمنها البيض الذين لا يملكون شهادة جامعية، والذين يشكّلون حوالى 44% من الناخبين المؤهّلين. في عام 2016، حاز ترامب 31% من أصوات الفئة السكانية غير الجامعية على المستوى الوطني، وفقاً لتحليل خبير الاستطلاعات روي تيكسيرا، في حديث إلى مجلة «نيويوركر». أفاد هذا الأخير، نقلاً عن استطلاع حديث، بأنّ بايدن قام بتضييق الفجوة إلى 12 نقطة. وهذا مشابه للهامش في عام 2008، عندما هزم باراك أوباما جون ماكين.

(أ ف ب)

> **أشارت ثلاثة استطلاعات وطنية إلى أن بايدن يحافظ على تقدّم مريح على ترامب**

ورفع الديموقراطيون غالبيتهم في مجلسي النواب والشيوخ، إضافة إلى تفشّي جائحة «كورونا» في الولايات الجنوبية ذات الغالبية البيضاء، وفي الضواحي. فما هو معروف، أنّ ترامب يحظى بتأييد واسع بين الأميركيين البيض من ذوي الطبقة المتوسّطة، كما يروّج دائماً للدعم الجمهوري الساحق له. ولكن وفقاً لآخر الإحصاءات، يبدو أنّ ثقة جزء من الفئتين قد تزعزعت. فكيف يظهر ذلك؟

في نظرة سريعة، يمكن الإشارة إلى التركيبة السكّانية المتغيّرة للولايات المتحدة، ومن ضمنها البيض الذين لا يملكون شهادة جامعية، والذين يشكّلون حوالى 44% من الناخبين المؤهّلين. في عام 2016، حاز ترامب 31% من أصوات الفئة السكانية غير الجامعية على المستوى الوطني، وفقاً لتحليل خبير الاستطلاعات روي تيكسيرا، في حديث إلى مجلة «نيويوركر». أفاد هذا الأخير، نقلاً عن استطلاع حديث، بأنّ بايدن قام بتضييق الفجوة إلى 12 نقطة. وهذا مشابه للهامش في عام 2008، عندما هزم باراك أوباما جون ماكين.

ليس هذا فحسب، فقد أفادت شبكة «سي إن إن»، بأنّ الناخبين المعتدلين نسبياً في الضواحي، والذين طالما شكلوا قاعدة الحزب الجمهوري خلال سنوات جورج بوش وما بعدها في الكونغرس، باتوا يفرّون من الحزب، رافضين البرنامج الخطابي والسياسي ذاته، الذي تسبّب في خسارة الديموقراطيين في عام 2016. وعلاوة على ما سلف، يذهب جون هودك في معهد «بروكينغز»، إلى حدّ الإشارة إلى أنّ إصرار ترامب على أنّ دعمه داخل الحزب الجمهوري يبلغ 96%، غير صحيح. ويوضح أنّ نسبة لا بأس بها لا توافق عليه. فبين شهري حزيران / يونيو، وآب / أغسطس، أظهرت استطلاعات رأي أجراها معهد «يوغوف» ومجلّة «ذي إيكونوميست»، انخفاض موافقة الجمهوريين على ترامب إلى 85%، مع رفض بين 14 ـ 15%، وهو رقم قد يزيد بناء على كلّ ما تقدّم، اضطُرت حملة ترامب إلى وضع استراتيجية أكثر فعالية، فأعادت ترتيب أولوياتها الانتخابية. وبعد إمضاء الرئيس أسابيع في الدفع باتجاه إعادة فتح الاقتصاد، وأخرى في إطلاق «خطابات الكراهية»، أعاد تركيزه أخيراً على الجائحة، في اعتراف غير مباشر بأنّ لديه خيارات قليلة، غالبيتها تتمحور حول الوباء. اعتراف ربما سيسهم في تضييق الفجوة بينه وبين بايدن، وربما أدّى بالفعل إلى تقلّص تقدّم الأخير عليه، إذ أفاد استطلاع لشبكة «سي ان ان»، بأنّ 50% من الناخبين يدعمون بايدن، بينما يقول 46% إنهم يدعمون ترامب.

مع ذلك، لا يمكن التعويل على هذا الرقم، ولا سيما أن ثلاثة استطلاعات وطنية أخرى أشارت إلى أنّ بايدن يحافظ على تقدّم مريح. فهل يكون استطلاع «سي ان ان» خارجاً عن المألوف، أم فعلاً سيتمكّن ترامب من استغلال الوقت الضائع لصالحه؟

بورتريه

جو «الوسطي»: حلم العودة إلى «الإجماع»

هلال حمود

قبل أربع سنوات، وقبل سقوط دونالد ترامب على العالم، ظنّ أن تلفزيون الواقع يُنتج نجوماً لا رؤساء. بخفة واستهزاء كبيرَين، جرى التعامل مع ما بدا أنه ظاهرة سلكت طريقها لنيل ترشيح الحزب الجمهوري، وكسبت "قلوب" طبقٍ واسع من الأميركيين. لا "دخان أبيض" تصاعد من صناديق الاقتراع ليل الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، ولا "مجانين" ليصدّقوا أن ذلك ممكناً. طوال "الفترة المظلمة"، كما سمّاها جو بايدن الواقف على عتبة البيت الأبيض، أبى مَن هم على الضفّة المقابلة للرئيس الحالي، إلّا أن يصنعوا واقعاً موازياً، يكون فيه ترامب: مرةً عميلاً روسياً، ومرّةً أخرى متآمراً لإطاحة خصمه. بايدن، انتهت كل مساعي "المقاومة" إلى لا شيء سوى تعميق الشرخ بين المعسكرَين الديموقراطي والجمهوري، وتوازياً الاجتماعي.

لسبب ما، سلّمت رئاسة أوباما - بايدن، بأكراً، بأنها "تغادر بعد ثماني سنوات مثقلةً بإنجازات - داخلية وخارجية - من شأنها أن "تُبقي الولايات المتحدة القوّة البارزة في العالم لعقود قادمة"، على حدّ تعبير نائب الرئيس السابق في مقالته لدوريّة "فورين أفيرز" (عدد أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر 2016). وإن خاب الرهان السابق لألف سبب، فاعتماد بايدن بقتصر، راهناً، ليس على برنامج عمل أو خطة استثنائية ستنتشل البلاد من أزماتها، ولكن على تأييد أميركيين ضاقوا ذرعاً بفترة رئاسية واحدة لترامب. لا شكّ في أن بايدن يستند - حصراً - إلى الأجواء "الإيجابية" التي تبثّها استطلاعات الرأي حيناً، وإلى فشل خصمه على أكثر من مستوى، إن كان في الملف الصحّي أو انعكاساته على مستوى الاقتصاد الوطني. لذا، اختار بايدن خوض "معركة من أجل روح الأمّة".

جو «العمّالي»

إلى ما سبق، يراهن بايدن على أن وسطيّته ستكسبه أصوات الناخبين، على رغم أنه لا يتبنّى قضايا عظيمة، ويحلم بالعودة إلى أيام "الإجماع" الجميلة. التمسُّك بوجهة النظر تلك، يوجب الإشارة إلى أن الأيام الخوالي لم تكن ودودةً بالمرّة. فـ"وسطيّة" الحزينين، في ذروة صعود بايدن، كانت تعني قسوة متعمّدة تُرعاها الدولة على نطاق يصعب فهمه، وتعني تمييزاً عنصرياً وعبودية مقنّعة، وتعني أيضاً الحبس الجماعي لأعداد هائلة من الأميركيين الذين (يصدف) أن غالبيتهم من مجتمعات السود، بتهمة تعاطي المخدرات (الكراك تحديداً). وكانت تعني "قانون 3 جرائم وستسجن مدى الحياة"، و"قانون العقوبة الحقيقية" (يفرض قضاء المجرمين 85% من محكوميتهم)، والتمويل غير المحدود لأقسام الشرطة، والطفرة في بناء السجون وخصخصتها. مع ذلك، أصرّ بايدن على أن يقول في مناسبات كتلك: "الحقيقة هي أن كلّ مشروع قانون خاص بالجرائم الكبرى منذ عام 1976 - وكلّ مشروع قانون خاص بالجرائم الصغيرة، يصدر عن هذا الكونغرس - يحمل عليه اسم السناتور الديموقراطي عن ولاية ديلاوير، جو بايدن". لن يكون سهلاً الفكاك من عقود أمضاها السناتور السابق في تعزيز قبضة الدولة العقابية، وتشريع الظلم في حقّ الأقليات تحت عناوين شتّى، من "الحرب على الجريمة" إلى "الحرب على المخدرات". وهو إن نجح في إقناع الناخبين بأنه أفضل من سيقود الولايات المتحدة من بعد الكارثة التي حلّت عليها، فلن يفوز لأن الاستراتيجية القديمة نجحت، بل لأن الخصم هو ترامب.

الشيء نفسه يمكن سوقه بالنسبة إلى علاقة ابن مدينة سكرانتون/ بنسلفانيا بـ"جذوره العمالية". "جو الطبقة الوسطى"، كما كان يُطلَق عليه سابقاً، تواطأ في بداية التسعينيات وأوائل الألفية لتكريس تحرير وول ستريت باعتبارها قضية مقدسة للحزب الديموقراطي، ودعَم بعض الاتفاقات التجارية التي درّت أرباحاً هائلة على البنوك، على رغم أنها أسهمت في تدمير المنطقة الصناعية حيث نشأ. كلّ ذلك جاء نتيجة سياسات الإجماع في العاصمة واشنطن. لكن التوجّه الآن لن يحمي بايدن الراهن، لأن الإجماع القديم تلاشى في السنوات القليلة الماضية، وذاب تماماً في الأشهر التي أعقبت مقتل جورج فلويد، حين تجلّى انقسام لن يكون بعض "الودّ" كافياً لمعالجة جذوره، والتي رسّخها "جو العمّالي" نفسه، في ما مضى.

يستند بايدن إلى الأجواء «الإيجابية» التي تبثّها استطلاعات الرأي (أ ف ب)

> **بالنسبة إلى بايدن لطالما كانت انتخابات 2020 تدور في فلك ترامب**

صديق إسرائيل

خلال رحلته الأولى إلى إسرائيل في عام 1973، التقى جو بايدن رئيسة الحكومة آنذاك، غولدا مئير، التي حدّثته بالتفصيل عن "التهديدات الأمنية" في المنطقة، وذلك قبل أيام من "حرب أكتوبر". بايدن، المُنتخب حديثاً وقتها عضواً في مجلس الشيوخ الأميركي، وصف اجتماعه مع مئير لاحقاً بأنه "كان من أكثر الاجتماعات أهمية" من حيث تأثيره على حياته. ظلّ طوال 40 سنة من مسيرته السياسيّة مدافعاً شرساً عن إسرائيل.

لم يكن خافياً التوتّر الذي شاب علاقة إدارة باراك أوباما مع نتنياهو. لكن بعض الخبراء يقدّرون أن فوز نائب الرئيس السابق سيكون موضع ترحيب من قِبَل المؤسّستَين السياسية والعسكرية في إسرائيل؛ لكونه مؤيّداً صريحاً للكيان، يُعتبر أن من واجب الولايات المتحدة التمسُّك "بوعدها المقدس بحماية وطن الشعب اليهودي". يمتدّ سجلّ مواقف بايدن في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى ما قبل سنوات أوباما، إذ أيّد الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل قبل عقدين، كما أيّد مشروع قانون أصدره مجلس الشيوخ عام 1995 يقضي بإقامة سفارة أميركية في القدس بحلول عام 1999. وتؤكّد حملة بايدن أنه، في حال انتخابه رئيساً، فلن يعيد إلى تل أبيب السفارة التي نقلها ترامب إلى القدس، لكنه سيعيد فتح قنصلية في القدس الشرقية "للتواصل مع الفلسطينيين".

(الأخبار، أ ف ب)

تقرير

أيّ تبعات للاكتشافات الجديدة؟

إردوغان يعلن تركيا دولة غاز طبيعي

محمد نور الدين

بخلاف معظم جوارها الإقليمي، فإن تركيا البلد الوحيد الذي يفتقر إلى موارد نفطية او غاز طبيعي. وقد استعاضت تركيا عن ذلك، وهذا ما وفره لها موقعها الجغرافي الاستراتيجي لكونها منطقة عازلة - واصلة بين الدول المنتجة (إيران، روسيا، العراق، أذربيجان) والدول المستهلكة (أوروبا)، لتكون مركزاً لتوزيع ولمرور خطوط أنابيب النفط والغاز الطبيعي من الشرق إلى الغرب. وبالفعل، تحوّلت خريطة تركيا خلال سنوات إلى شبكة عنكبوت لخطوط الطاقة من كل الجهات في اتجاه أوروبا. وسعت تركيا، في السنوات الأخيرة، لتكون أيضاً محطة مرور إلزامية وأقل كلفة للنفط والغاز الطبيعي المكتشف في شرق المتوسط. لكن الصراعات السياسية حالت دون ذلك، بل عملت الدول المنضوية في «منتدى غاز شرق المتوسط»، وهي مصر وإسرائيل وقبرص اليونانية واليونان وإيطاليا، لعزل تركيا بعدم دعوتها للانضمام إلى المنتدى. لكن الأكثر تهديداً لطموحات تركيا كان مشروع بناء خط أنابيب «ميديايست» من إسرائيل ومصر وقبرص إلى اليونان فإيطاليا بطول ألفي كلم وكلفة حوالى 8 مليارات دولار، لنقل الغاز والنفط المكتشفين إلى السوق الأوروبية، والذي تقدر قيمته بثلاثة تريليونات دولار وتغطي حاجة أوروبا على ثلاثين سنة. وهذا كان من أهم أسباب الاندفاعة التركية في شرق المتوسط والتدخل في ليبيا وتوقيع اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين أنقرة وحكومة فايز السراج، والتي تلحظ منطقة بحرية مشتركة بين تركيا وليبيا على امتداد الخط الواصل بين تركيا شمالاً وليبيا جنوباً، وهو ما يعني أن خط «ميديايست» يحتاج للمرور في تلك المنطقة البحرية إلى موافقة مسبقة من تركيا. مثلت تلك الاتفاقية تهديداً مباشراً لمصالح منافسي تركيا، لكن الرد لم يتأخر كثيراً عندما وقّعت مصر واليونان اتفاقية ترسيم حدودهما البحرية بحيث اخترقت المنطقة التركية وأفرغت اتفاقية إردوغان - السراج من مفعولها.

مع ذلك، فإن تركيا كانت تصبّ اهتمامها في أن تكون دولة نفطية كما في المتوسط كذلك في البحر الأسود حيث يمكنها التنقيب في حدود مناطقها الاقتصادية الخالصة فيهما. رغبة تركيا الجامحة في أن تكون دولة نفطية كانت من عوامل التوتر في أكثر من منطقة، ولا سيما في شرق المتوسط وشمال أفريقيا. ولا ننسى أن واحداً من أسباب الحرب على سوريا رفض دمشق أن تمرر مشروع خط أنابيب الغاز من قطر إلى تركيا فاوروبا عبر سوريا. وفي سياقات البحث عن دور في الطاقة لم تتردد أنقرة في نسج تفاهمات مع قوى ودول متناقضة ومتصارعة، فعبر تركيا تمر خطوط من إيران ومن العراق ومن أذربيجان ومن روسيا وخلف بعضها الولايات المتحدة الأميركية.

تعتمد تركيا كثيراً في توفير الطاقة لمواطنيها ومصانعها على الغاز الطبيعي، وبلغ حجم استيرادها عام 2019 حوالى خمسين مليار متر مكعب تستهلك منها 45 في المئة وتصدّر الكمية الباقية. ويسهم الغاز الطبيعي في إنتاج 30 في المئة من كهرباء تركيا، ويستهلك ثلثه في المنازل وأقل من الثلث في المصانع والباقي في مجالات أخرى. وتنتج تركيا فقط 0,63 في المئة من حاجاتها للغاز، أي ما يعادل 38 مليون متر مكعب.

تشهد نسبة ارتباط تركيا بالخارج في مجال الغاز الطبيعي نقاشاً دائماً. ويتوقف المحللون عند الارتهان السياسي بالدول التي تستورد منها تركيا الغاز الطبيعي.

في العام 2019 كانت نسبة استيراد تركيا للغاز الطبيعي على الشكل التالي:

روسيا: 36,25 في المئة وتصدّر 22,14 في المئة. إيران: 15,71 في المئة. الجزائر: 12,69 في المئة. قطر: 4,93 في المئة. نيجيريا: 4,34 في المئة. الولايات المتحدة :2,15 في المئة.

كذلك، فإن تركيا كما يبدو واضحاً من الأرقام أنها ترتبط بروسيا وإيران مجتمعتين بنسبة خمسين في المئة، علماً بأن نسبة الارتباط بروسيا وحدها كانت تتعدى سابقاً خمسين في المئة.

أمّا على صعيد النفط، فإن تركيا تستورد سنوياً ما بين 25 و29 مليون طن من النفط. ونسبة الاستيراد بحسب الدول هي:

روسيا: 32,71 في المئة. العراق: 21,13 في المئة. كازاخستان: 7,52 في المئة. الهند: 6,83 في المئة. إيران: 6,64 في المئة. السعودية: 4,54 في المئة. نيجيريا: 4,39 في المئة.

> **يستغرق الاستثمار النهائي لهذه الاكتشافات من سبع إلى عشر سنوات**

ويلاحظ هنا أن نسبة استيراد تركيا من إيران تراجعت من 28 في المئة عام 2018 لتصبح 6,5 في المئة عام 2019. والسبب الأساسي لذلك أن تركيا، خلافاً للشائع، قد التزمت بالعقوبات الأميركية على إيران.

إلى جانب ارتباط تركيا بالخارج في مجال النفط والغاز الطبيعي، فإنّ فاتورة تركيا في الطاقة كبيرة وتثقل كاهل الميزانية التركية، حيث تبلغ سنوياً بحدود أربعين مليار دولار، قد ترتفع أو تتراجع تبعاً لسعر برميل النفط، ومن بينها حوالى 13 مليار دولار لفاتورة الغاز الطبيعي.

أمس، أعلن إردوغان البشرى التي كان وعد بها نهار الأربعاء. وقال إنّه تم اكتشاف أحد أكبر حقول الغاز الطبيعي في العالم في حقل «طونه 1» (أي الدانوب 1) في البحر الأسود، والذي قامت به سفينة التنقيب «فاتح»، وهي منطقة تقع قريباً من حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة التابعة لبلغاريا، وفي منتصف المسافة بين زونغولداق ومصب نهر الدانوب. وقدّر إردوغان الكميات الموجودة بـ 320 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، والتي تسد حاجات تركيا للعشرين سنة المقبلة. ويقول مسؤول اقتصادي تركي إن كلفة الاستخراج لن تتعدى ثلاثة مليار دولار. وأعلن إردوغان أن عمليات التنقيب في البحر المتوسط سوف تتسارع من الآن إلى نهاية السنة. كذلك، أعلن إردوغان أن عمليات التنقيب في منطقة صقاريا البرية واعدة. وبعد كلمة من وزير المالية براءت البيرق من على ظهر سفينة التنقيب «فاتح»، قال وزير الطاقة فاتح دونميز، الذي كان برفقة البيرق، إن عمليات التنقيب في حقل «طونه 1» سوف تتواصل على عمق أكبر. وقال إن ما اكتشف نقطة تحوّل في تاريخ تركيا.

إعلان إردوغان عن اكتشاف مصادر للغاز الطبيعي في البحر الأسود لا شك يجعل تركيا، في حال لم تكن هناك مبالغة، تتنفس الصعداء ولو نظرياً. ذلك أن الاستثمار النهائي لهذه الاكتشافات يستغرق من سبع إلى عشر سنوات، علماً بأن إردوغان أمل أن يتم بدء الاستفادة من ذلك في العام 2023 (سنة انتخابات الرئاسة).

وهذه الاكتشافات تجعل تركيا ضمن نادي الدول المنتجة للغاز الطبيعي، وهي إن لم تصدّر فعلى الأقل تقلل كثيراً من ارتباط تركيا بالخارج على صعيد الغاز الطبيعي، وتوفر عشرة مليارات دولار سنوياً، وتجعلها أكثر استقلالية في سياساتها الإقليمية والدولية، ما يقوّي موقعها تجاه الأصدقاء والأعداء في المرحلة المقبلة في معظم الملفات الشائكة. كما تساعد تركيا على الإطفاء التدريجي لديونها، ولا سيما الخارجية، والبالغة 480 مليار دولار، وتحسّن وضعها الاقتصادي وتخفف الضغوط على الليرة التركية. كذلك، فإن مثل هذه الاكتشافات ستقوّي رصيد إردوغان في الداخل على أعتاب الانتخابات الرئاسية بعد أقل من ثلاث سنوات. أيضاً، سوف ترتفع أسهم وزير المالية وصهر إردوغان براءت البيرق، كخليفة محتمل لإردوغان، بعد أن يتقاعد الأخير من العمل السياسي بعد... سنوات!

ومع ذلك، فإن أسماء بارزة في مجال الفن والأدب والموسيقى والسياسة تهكّموا على بشرى إردوغان. الباحث السياسي أرسين قالايجي أوغلو قال إن البشرى الحقيقية هي في العودة إلى النظام البرلماني. وقال الموسيقي البارز زلفي ليفانيلي إن البشرى الأكبر هي في إطلاق معتقلي الرأي والتعبير. وقال البعض إن البشرى هي في إيجاد عمل للعاطلين من العمل والذين تبلغ نسبتهم خمسين في المئة. ورأى سيّد طورون، نائب رئيس حزب «الشعب الجمهوري» المعارض، إن البشرى هي في إعلان إردوغان استقالته، ولن يرضى الشعب التركي أي بشرى سوى استقالة إردوغان. ويقول سلجوف أوزداغ، نائب رئيس حزب «المستقبل» الذي يترأسه أحمد داود أوغلو، إن العالم العربي غني بالنفط، لكن الأهم أن تكون في بلد حر قضاؤه مستقل وحريات التعبير فيه مصونة وإدارته شفافة.

ملك هذه الاكتشافات ستقوّي رصيد إردوغان في الداخل على أعتاب الانتخابات الرئاسية بعد أقل من ثلاث سنوات (الأناضول)

استراحة

كلمات متقاطعة 3527

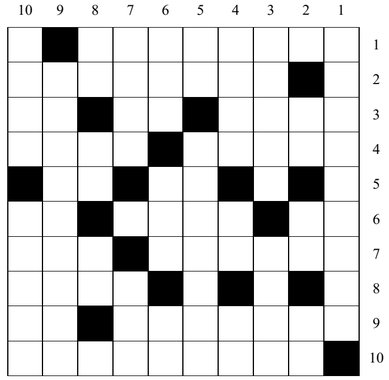

أفقيا

1- دولة أميركية من كبرى دول العالم – 2- عاصمة أوروبية – 3- ولاية برازيلية – إسم بوذا في الصين – حرف نصب – 4- اديب فرنسي في عصر النهضة – سجنجل – 5- أمر فظيع – مأوى الدجاج – 6- ضمير منفصل – من رجال الأمن – نوتة موسيقية – 7- مدينة إيطالية تشتهر بإنتاج الزيتون والنوز والعنب – فلوس ودراهم – 8- ما يتنبّأ به المنجّم لأحد الأشخاص – 9- دولة آسيوية – عملة آسيوية – 10- ممر مائي يصل البحر الأحمر بخليج عدن وبحر العرب

عمودياً

1- من معالم أوستراليا السياحية في مدينة سيدني – 2- متشابهان – عملة عالمية – إله – 3- لعبة مشهورة للأطفال وخاصة للبنات منهن – حياة حاضرة – 4- نشاهدها على شواطىء البحر وفي الصحاري – لألىء عظام – قلب الثمرة – 5- أصل البناء – ولاية هندية حديثة تشمل قسماً من الينجاب – 6- زفت مبعثرة – عاصمة آسيوية – تعب واعيا – 7- يريد ويرغب – عظيم أو ماء كثير – 8- خاصم أشدّ الخصومة – عبودية – إسم موصول – 9- من معالم باريس المشهورة وأثر هندسي رائع ومتحف عسكري وقبر نابليون والقادة العظماء – 10- بدانة وزيادة في الوزن – من الفاكهة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- نداء الوطن – 2- عهد – جم – همس – 3- يوبيل – نحسنّ – 4- مكيّف – نيس – 5- السردين – 6- لفت – فج – نمس – 7- آر – ايسل – را – 8- وندزر – امون – 9- يسبر – ردودي – 10- إيقاعات

عمودياً

1- نعيم حلاوي – 2- دهوك – فرنسا – 3- ادبيات – دبي – 4- يفلّ – أزرق – 5- اجل – سفير – 6- لم – نرجس – رع – 7- نيد – لادا – 8- طه حسين – موت – 9- نمسّ – نمرود – 10- سنة – سانيو

sudoku 3527

3	7				8	5		
2	1			3		9		7
	5					6		
5			1		4			8
6								9
9			3		7			2
		8					7	
4		3		5			9	6
		5	2				4	1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

3526

9	5	3	4	8	7	2	1	6
2	6	7	5	1	3	8	4	9
4	1	8	2	9	6	5	3	7
6	9	4	8	5	2	3	7	1
5	3	2	7	6	1	4	9	8
7	8	1	3	4	9	6	2	5
3	7	6	1	2	5	9	8	4
8	2	5	9	7	4	1	6	3
1	4	9	6	3	8	7	5	2

مشاهير 3527

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

دبلوماسي أميركي كان سفيراً لبلاده في الجزائر عام 1988 وفي سوريا عام 1991. ترأس مكتب مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية وعمل مستشاراً في العالم العربي

8+3+2+4 = تخت ■ 1+11+6+7 = من عوامل الشمس ■ 7+9+10+5 = فاكهة بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: ريم البارودي

إعداد نعوم مسعود

وجهة نظر

إسرائيل على الحدود الإيرانية

حسن حيدر

بكثير من الحزم يتعاطى المستوى السياسي في طهران مع الإعلان الأميركي – الإسرائيلي – الإماراتي تطبيع العلاقات بين كيان العدو ودبي. ردود الفعل الإيرانية على هذه الخطوة والتحذير من خطورتها على القضية الفلسطينية أوّلاً نابعة من القراءة الإيرانية لمحاولات العدو الإسرائيلي وضع قواعد اشتباك جديدة وخلط موازين القوى باتجاه إرساء معادلة إضافية تلقفتها طهران بالتمعن وتتعامل معها بكثير من الجدية.

المعادلة الجديدة التي ترسم في المقلب الآخر من الحدود الإيرانية تعتمد على قاعدة الرد بالمثل. فإسرائيل تتهم إيران بالوجود على حدود الكيان في سوريا وتقوم ليل نهار بمحاولة ضرب هذا الوجود بكل السبل المتاحة عسكرياً وأمنياً. وبالتالي كان يجب على واشنطن أن تمنح كيان العدو ورقة جديدة لتوضع في ميزان المعادلات والتوازنات، فكان الوجود الإسرائيلي على الحدود الإيرانية من خلال تطبيع العلاقات مع الإمارات.

ليس خفياً على أحد أن مدينتي دبي وأبو ظبي تمثلان قاعدة عمل استخبارية ضد إيران، إضافة إلى العاصمة الآذرية باكو، وطبعاً غيرهما من الدول، إلا أن هاتين الدولتين تعدّان الأكثر تورّطاً في العمل ضد إيران، إذ تعتبر هذه المناطق عصب العمل الأمني في الحديقة الخلفية لطهران، وهذا ما يثبته العديد من الوقائع عن نشاط الموساد في محطة الإمارات، والذي يستهدف الداخل الإيراني بعمليات اغتيال وتفجير وتجنيد، ويعتبر القاعدة اللوجستية لعمليات إدارة المعارضة والإعلام ضد النظام الإيراني.

اعتقال زعيم جماعة «جند الله» عبد المالك ريغي، عام 2010، تم بعد وصوله إلى دبي جواً آتياً من أفغانستان حيث ألقي القبض عليه وهو في الطائرة التي كانت متجهة من دبي إلى عاصمة قرغيزستان بيشكك للقاء مسؤولين أمنيين أميركيين. في آب/أغسطس 2014 انطلقت طائرة تجسّس إسرائيلية بدون طيار من طراز «هرمس 450» من الأراضي الآذرية لتسقطها الدفاعات الجوية الإيرانية فوق منشأة نطنز النووية.

إذاً لا جديد في الوضع التجسّسي في المحيط الإيراني المتأزم منذ أيلول/سبتمبر 2001، إلا أن ما يلفت الانتباه هو اختيار الإمارات لتكون أوّل المطبّعين خليجياً وليس سلطنة عمان التي زارها و يزورها قادة العدو الإسرائيلي بشكل دوري على المستوى الأمني والعسكري والسياسي والاقتصادي. من هنا يمكن استنتاج أن واشنطن أرادت اختيار الإمارات لاعتبارات ولغايات تحقق أهدافاً قد توصف بالاستراتيجية للإدارة الأميركية وإسرائيل. فالإمارات تقع على المنطقة الحدودية «صفر» بحرياً مع إيران، وبالتالي نقل النفوذ الاسرائيلي إلى الحدود الإيرانية وفقاً لمعادلة الوجود الإيراني في سوريا، يقابله الوجود الإسرائيلي في الإمارات، ما يعني أن فتيل الصراع الحالي بين إيران ودول الخليج المتمحور حول صراع سياسي وخلافات في القراءات العامة للأطر الحاكمة للمنطقة لن ينفجر بسبب عدم وجود فتيل اشتعال أو حجة مقنعة لوجود «اعتداء»، ما يفقد الحراك ضد إيران «الشرعية الدولية».

أمّا في ما يخص تحديد الصراع مع الإمارات وتحييد باقي دول الخليج فله ميزة متقدمة، لكون حكام الإمارات لديهم خلاف حدودي مع طهران يتمثل في الجزر الثلاث المتنازع عليها منذ السبعينيات، وبالتالي يمكن للإسرائيلي التحرك في إطار هذا الخلاف وتعزيز تعاونه مع الإمارات ضمن اتفاقيات دفاعية مشتركة لمواجهة «الاحتلال الإيراني» للجزر في الخليج. وعليه أصبح لدولة عربية هاجس التهديد المشترك مع كيان العدو، ما قد يقود إلى نشر قواعد عسكرية إسرائيلية، خفية أو علنية، ومعدات قتالية دعماً للإمارات بوجه «العدو المشترك».

أراد الأميركي إيصال رسالة لطهران بأن العمق الاقتصادي التجاري مع الإمارات سينتهي لصالح إسرائيل التي ستحاول تعويض بعض الاستثمارات ورؤوس الأموال الإيرانية التي بدأت تغادر دبي، في حين أن واشنطن غير مهتمة بالاقتصاد الإماراتي بقدر تمكّنها اليوم من التغلغل لمراقبة النشاط الإيراني الالتفافي على العقوبات أكثر فأكثر. من هنا، يمكن تفسير تحذير إيران للإمارات من «العواقب الوخيمة» لهذه الخطوة وتحميلها المسؤولية عن أي نتائج قد تترتب عن أي حادثة أو وجود عسكري إسرائيلي في مياه الخليج. فطهران قد لا يمكنها أن تبقى مكتوفة الأيدي وترى القطع البحرية الإسرائيلية تجوب مياه الخليج وترسو على بعد عشرات الكيلومترات من الحدود الإيرانية في الموانئ الإماراتية. ولا يمكن أن تشهد أيضاً وبصمت مناورات جوية إماراتية إسرائيلية محتملة في السماء المجاورة لها. أمور يعرف الأميركي والإسرائيلي مدى استفزازها لإيران، ويعرف جيداً إمكانية الرد الإيراني عليها. فالطرفان يدركان حجم المعركة الصامتة الطاحنة الدائرة الآن، والتي قد تتدحرج بصمتها لتدوي انفجاراً هائلاً قد يغيّر الكثير من موازين القوى في المنطقة، ستكون فيها الإمارات المنتشية بـ«سلامها التاريخي» أول المحترقين بنارها، لتغرق بين قوى متصارعة أُستُخدِمت فيها مشيخات الخليج دمى يتلاعب بها الأميركي و الإسرائيلي.

وفيات

انتقل إلى رحمة ربه تعالى
فقيدنا الغالي المأسوف عليه
الحاج غازي محمد قديح
(ابو محمد)

رئيس الجالية اللبنانية في بنين – كوتونو
والدته: المرحومة الحاجة فاطمة أبو الخدود
زوجته: الحاجة ليلى رياض شمعون (79124442)
أولاده: الدكتور محمد (03718192) غابي (03191353) الحاج محمود (76989135) نبيه (03069996) ساره زوجة إبراهيم غلاييني (971553360250) شقيقاه: المرحوم رهيف (أرملته امال قديح) (03973064) طلال (03244054) شقيقاته: رافه زوجة ادهم خياط (03640061) الحاجة تحيه زوجة اكرم سليمان (03726566) سلام أرملة المرحوم حسن غدار (03480336) رويدا (03433271) والمرحومة الحاجة رهيفه أرملة المرحوم رائف بشاره
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب
نعتذر عن تقبل التعازي بسبب الأوضاع الصحية في البلاد.
الأسفون: آل قديح، آل أبو الخدود وعموم أهالي وعائلات مدينة النبطية.

إعلانات رسمية

اعلان قضائي

تدعو محكمة صيدا المنفردة العقارية المدنية غرفة الرئيس جورج سالم - المدعى عليه زياد محمد ابو علفا والمجهول محل الإقامة للحضور إلى قلم المحكمة لإستلام صورة عن كافة أوراق الدعوى ومربوطاتها بما فيها محضر ضبط المحاكمة من صفحة (1 إلى 6) وذلك بالدعوى أساس 2019/322 مدوّر 2020/24 والمقدّمة من المدعي فادي كميل سيما سباهية ضد المدعى عليهم زياد محمد أبو علفا ورفاقه تاريخ 2019/5/7 بموضوع إنشاء حق المرور للعقار رقم /238/ عين الدلب بعرض أربع أمتار ونصف عبر العقارين /670/ و/271/ كونه الطريق الأقصر والأقرب والأقل ضرراً ومتوفرة فيه الشروط المحددة بالمادتين 74 و75 من القرار 3339 قانون الملكية العقارية واعضاء المدعي الحق في تمرير كهرباء وهاتف وصرف صحي عبر حق المرور إلى عقاره موضوع الدعوى الراهنة وإتخاذ محل إقامة ضمن نطاق المحكمة والجواب خلال مهلة عشرين يوماً تلي النشر وإلا يتم إبلاغك بقية الأوراق والقرارات باستثناء الحكم النهائي بواسطة رئيس القلم والتعليق على لوحة إعلانات المحكمة.

رئيس القلم
ناديا سعيد مرعي

إعلان

صادر عن محكمة جزين المدنية بتاريخ 2020/4/30 تقدم السيد سليم رشيد سلهب بواسطة وكيله المحامي اميل رزوق إلى قلم هذه المحكمة باستدعاء سجل بالرقم 2020/61 يرمي إلى ثبوت وفاة وحصر إرث حبيب نوفل أبو نادر وزوجته فهوم يوسف ضاهر أبي نادر فعلى كل صاحب مصلحة لديه اعتراض أو ملاحظات فليتقدم بها إلى قلم المحكمة خلال مهلة عشرين يوماً من تاريخ النشر.

رئيس القلم
بتريسيا بو راشد

لإعلاناتكم الرسمية
والمبوبة والوفيات

الأخبار

هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 آب 2020 العدد 4129

صورة وخبر

حين دوّى انفجار مرفأ بيروت، كانت «غاليري تانيت» تحتضن معرض «رفاة آخر وردة حمراء على وجه الأرض» للفنان اللبناني عبد القادري. بعد أيام قليلة على الكارثة، أعلن القائمون على الغاليري الكائنة في مار مخايل تصميمهم على النهوض بعد الدمار الذي لحق بالمكان. تزامناً، بدأ القادري إنجاز مشروع جديد بعنوان «اليوم، أود أن أكون شجرة» (إخراج مارك معركش) على الجدران نفسها. في محاولة لمواجهة مشاهد ومشاعر الدمار التي تنتاب الناس، يخلق الفنان مشهداً بديلاً للصفاء الطبيعي. هكذا، استحالت الغاليري المدمّرة استديو مؤقتاً للقادري أثناء عمله على جداريتَيْن عملاقتَيْن على 80 لوحة من الورق المقوّى. علماً بأنّ هذا المشروع الفني يوجّه تحية للمعمار جان مارك بونفيس، مصمم البناية التي تحتضن «تانيت»، وقد قضى في الانفجار. يحاول المشروع جمع الأموال للمساعدة في إعادة بناء منازل بيروتية عن طريق بيع الألواح إلكترونياً. (مروان طحطح، أف ب)

الوزيرة في مكتبها للحدّ من «الكركبة»!

لم تكن وزيرة الإعلام المستقيلة، منال عبد الصمد، تتوقّع أن تطلب منها حكومة تصريف الأعمال المداومة في مكتبها من أجل وضع حدّ لـ «الاشتباكات» الحاصلة على خلفيات إدارية وسياسية في مبنى تلفزيون لبنان، نتيجة تصادم الآراء في ما يخص الفترة التي ألغت فيها الوزيرة البرامج لصالح التغطية الكاملة لانفجار المرفأ، وحصرها بقسم الأخبار. هكذا، ضاعت البوصلة حيث بات كل مذيع يتكلّم وفق سياسته الخاصة مع ضيوفه. أمر دفع بمصدر معني في الحكومة إلى الطلب إلى الوزيرة العودة للإشراف على تهدئة الأوضاع في أروقة التلفزيون. ومن المتوقع عودة البرامج الاعتيادية خلال فترة تصريف الأعمال، فيما رُحّل تشكيل مجلس الإدارة إلى الحكومة الجديدة، وفي الطريق إليها، تسقط الأسماء التي قيل إنّ عبد الصمد تبنّتها لشغل مركز الرئيس.

ميكا على يوتيوب: Beirut ❤ I

في 19 أيلول (سبتمبر) المقبل، يدعو الفنان البريطاني من أصول لبنانية، ميكا (1983 ـ الصورة) إلى حضور حفلة افتراضية «حميمة» سيحييها لدعم اللبنانيين المتضررين من انفجار مرفأ بيروت. الموعد المرتقب الذي سيبثّ مباشرةً على يوتيوب، سيتضمّن بعض المفاجآت، على أن تنقسم عائداته بين الصليب الأحمر اللبنانية وجمعية Save The Children، وفق ما أكد ميكا في فيديو نشره على مواقع التواصل الاجتماعي. أما شراء البطاقات (ستكون متوافرة اعتباراً من بعد غدٍ الاثنين)، فيتم من خلال التبرّع بمبلغ مالي عبر موقع GoFundMe. وختم صاحب أغنية We Are Golden المنشور بالقول: «لقد عانت بيروت الكثير ولا يمكن إنكار صمود وقوة الشعب اللبناني. إنها مكان ولادتي، وهي جزء منّي وستظل دائماً في قلبي».

زاهي وهبي/ محمد المرباطي: البحرين تغني بيروت

بعدما فُجعت العاصمة اللبنانية إثر الانفجار الذي هزّ مرفأها في الرابع من آب (أغسطس) الحالي، توالت الأعمال الفنية المنوّعة المعبّرة عن حالة الاستنكار والغضب والحزن مما جرى. ومن بينها أغنيات جديدة وأخرى شهيرة أعاد فنانون أداءها بأصواتهم وعلى طريقتهم الخاصة كتحية لـ «ست الدنيا». في هذا السياق، أهدى الفنان البحريني الشاب، محمد المرباطي (1995 ـ الصورة)، بيروت أخيراً أغنية تحمل اسمها، تولّى شخصياً غناءها وتلحينها وتوزيعها. أما الكلمات، فللشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي. إنّها عبارة عن مقاطع من قصيدة «مسقط القلب» الواردة في كتاب «لِمَنْ يهمّه الحُب» (2012 ـ دار الساقي)، عدّل وهبي مطلعها قليلاً لتتناسب مع العمل الغنائي، وفق ما أوضح في اتصال مع «الأخبار».

ومما جاء فيها: «بيروت زهرةُ الصُّوان، أقحوانةُ التعب/ نشوةُ العناقيدِ في ثُمالَةِ العنب».

تعدّ أغنية «بيروت» التعاون الثالث بين وهبي والمرباطي بعد «عيناكِ» التي تتناول الحب والوطن، و«لا تنسى» المخصّصة لفلسطين المحتلة، وتم إنجازها بعدما نالت الأبيات التي نشرها زاهي على تويتر وإنستغرام بعد الحدث الأليم إعجاب الفنان البحريني الذي تبتعد أعماله عن الإنتاجات التجارية.

ندوة رقمية: أسرلة التعليم في القدس

ينظّم المتحف الفلسطيني، في 26 آب (أغسطس) الحالي، حلقة نقاش بعنوان «المناهج كساحة حرب: أسرلة التّعليم في القدس المحتلّة»، يشارك فيها كلّ من: أنوار قدح، هنادي قواسمي وأحمد فتيحة. يركّز الموعد على التعليم في القدس والمحاولات المستمرة لفرض المناهج الإسرائيليّة على المدارس الفلسطينية في المدينة. تستعرض الحلقة الخلفية التاريخية لمحاولة أسرلة المناهج منذ نكسة 1967، وكيف قاومها التربويون والمعلمون. ومن ثمّ ستتطرّق إلى السياق الحالي، والأبعاد المُترتّبة على ذلك بين الماضي والحاضر.

«المناهج كساحة حرب: أسرلة التّعليم في القدس المحتلّة»: الأربعاء 26 آب ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم».

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 آب 2020
العدد 4129 السنة الخامسة عشرة
Samedi 22 Août 2020 no 4129 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

محمد علي شمس الدين
في البدء كانت فلسطين

محمد ناصر الدين

«كيمياء الشعر الذي كتبتُه هي كيمياء فيها روائح تراب هذه الأرض، ونحن كأرض جليلية من قديم التاريخ وكما قال شهيد المقاومة الشيخ راغب حرب: الموقف سلاح والمصافحة اعتراف»، يقول الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين (1942) الذي سحب أخيراً ترشيحه لـ «جائزة الشيخ زايد للكتاب» لعام 2020 ببيان على صفحته الفايسبوكية جاء فيه: «أنسحب من جائزة زايد للكتاب في ابو ظبي عن كتاب «آخر ما تركته البراري» الصادر لي عن «دار النهضة العربية». وكانت الدار قد رشحته لهذه الجائزة بتفويض مني قبل إعلان الاتفاق الأميركي الإماراتي الإسرئيلي الذي شكل سبباً كافياً ومقنعاً لي لاتخاذ هذا الموقف بسحب الترشيح والتفويض معاً». ابن الأرض الجنوبية المحروقة الذي لطالما ذكرَ في مقابلاته ضباب طفولته الذي يعبر من تخوم الحقول في قريته «بيت ياحون» نحو سهل الحولة في الجليل، يضيف أن «مسألة الشعر بالنسبة إليّ غير مفصولة عن عروق تاريخنا وقناعاتنا لأن فلسطين عربية، وأي تمويه لهذه الحقيقة سواء بالكتابة أو بالموقف السياسي أو بالتحالفات هو إفساد لكيمياء أرواحنا وشعرنا». الشاعر المتوّج من قبل بجوائز مثل «جائزة العويس» و«الشارقة للشعر»، يعتبر أنه في موجبات نيله لتلك الجوائز كان قد ورد التزامه بكرامة الإنسان العربي ولا سيما في الجنوب اللبناني، وقد سبق له رفض العديد من الجوائز لأن «الرفض هو الأساس». بعد إعلان الإتفاق الأميركي-الإماراتي-الإسرائيلي و«لأن الجهة التي تموّل جائزة زايد للكتاب هي جهة رسمية أي مسؤولة سياسياً عن موقف نرفضه من أصله، لا يمكنني إلا أن أكون على طرفٍ نقيض من أعداء الأرض والتراب والثقافة». وهو يرى أننا في العالم العربي أمام ثقافتين: ثقافة رسمية للنظام العربي، ومزاج شعبي رافض للتطبيع رغم اتفاقيات كامب ديفيد ووادي عربة، و«أنا ابن الثقافات الشعبية المدنية ولا أعترف بغيرها من السُلطات». على بعد أمتار من نصر تموز، حين صبّت الطائرات حممها في لحمنا العاري لأن إرادتنا لم ترضخ لجند يوشع بن نون، ولأن قلوبنا ترحل كل يوم الى فلسطين، كانت كلمات محمد علي شمس الدين: «... يا اخوتي/ أنا الآن منكشف كالفضاء / أطير هنا وهناك/ سابحاً في أعالي السماء/ جميلاً وحراً وممتلئاً بالعناقيد/ ودمي كالنبيذ يسيل على الأرض/ فيشربه شعب جلعاد/ كما يشرب السُم/ فيهوى صريعاً على وجهه/... يا اخوتي في شهر تموز/ من عام جرح وألفين بعد المسيح/ وسبعين مجزرة في القرى/ في طريق الإمام الذبيح/ سجلوا في دفاتركم ما يلي: /لقد أزف الوقت واكتملت كربلاء/ مثلما شاءها الأقوياء»... كلمات أشبه بالصاروخ الذي أصاب البارجة في قلب البحر.

ذكرى

عودة إلى «الشاعر القتيل» الذي ناضل من أجل الإنسان والجمال

فيديريكو غارثيا لوركا... أعمارٌ إسبانيا وعهودها

علاء اللامي *

«قولوا للقمر أنّ يطلع
لا اريدان ارى دم إغنائيو على الرمال
لا اريدان ارى دمعا»
(لوركا ـ «مرثاة من اجل اغنائيو»)

تمر هذه الأيام ذكرى إعدام الشاعر الغرناطي الأشهر فيديريكو لوركا (1898 ـ 1936)، من قبل الكتائب «الفالانج» القومية الإسبانية في 19 آب (أغسطس) 1936. هذه الوقفة النثرية تحية متواضعة لذكراه مناضلاً بشعره من أجل الإنسان والجمال:

إذا كان الشاعر العربي القديم مالك بن الريب قد عُرف بأنه الشاعر الذي رثى نفسه بقصيدته التي مطلعها: «ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً
*** بوادي الغضى أزجي القِلاص النواجيا»، فإنّ لوركا تجاوز التنبؤ بمقتله ورثاء نفسه إلى استشراف تفاصيل ما بعد موته، حين توقّع اختفاء جثمانه حتى يومنا هذا بقصيدة كتبها قبل إعدامه بأعوام قليلة:

«وعرفتُ أنني قُتلتُ
وبحثوا عن جثتي في المقاهي
والمدافن والكنائس
فتحوا البراميلَ والخزائن
سرقوا ثلاثَ جثث
ونزعوا أسنانها الذهبية
ولكنهم لم يجدوني قط!
ألم يعثروا عليَّ؟
نعم، لم يعثروا عليَّ!»

وفي قصيدة أخرى، قد تكون أحدث عهداً منها، يستبدل غرناطة بقرطبة وكأنه يلعب الغميضة مع موته:

«ليمهلني الموت حتى أصير في قرطبة
قرطبة الوحيدة البعيدة
آه، إنه الموت ينتظرني فوق أبراج قرطبة».

إذا كانت عملية البحث عن جثمان لوركا، قد انتهت إلى الفشل سنة 2015، وظهرت نظرية جديدة للمؤرخ ميغيل كابيرو تفيد بأنّ جثمان الشاعر ألقي في بئر في المنطقة ذاتها، في ضواحي غرناطة، ولم يعثر على أثر لبقاياه هناك، فإنّ عائلته ومحبّيه اعتبروا المنطقة التي أعدم فيها، إلى جانب آلاف المفقودين في الحرب الأهلية، مكان دفنه، وأقاموا له فيها نصباً فنياً جميلاً ومتواضعاً. والعجيب، أن هذه المنطقة التي قُتل فيها الشاعر كانت وما زالت تحمل اسماً عربياً حزيناً هو «عين الدمعة» (Ainadamar) [1] وقد تكون تابعة لبلدة فيشنار.

في السنوات الأخيرة، ظهرت روايات ضعيفة، وأخرى مضلّلة ومنحازة ضد الشاعر، تحيل أسباب مقتله إلى خلافات مالية بين عائلته وعائلة غرناطية أخرى، ككتاب «الحقيقة حول مصرع غارثيا لوركا» للكاتب إيدرسفاك وآخرين، وأخرى تجرد جريمة قتله من البعد السياسي وتبرئ نظام فرانكو منها بالتركيز على البعد السلوكي و«الأخلاقي»، كما في كتاب بيلا سان خوان المعنون «مصرع لوركا: كل الحقيقة» [2]. أما كتاب خيراردو روساليس التوثيقي «صمت عائلة روساليس»، فيمكن أن يكون مفيداً ويضيء لنا غموض الأيام الأخيرة للشاعر. فعائلة روساليس هي التي اختبأ عندها لوركا، لصداقته مع بعض أبنائها وكانوا من «الفالانخيين»، على أمل أن يحموه من جماعتهم. يرتكز الكتاب إلى صور ورسائل والاستذكار الشخصي لكاتبها كاحد أحفاد الأسرة، وهمه الأول تبرير سكوت عائلته عن تلك الجريمة لسنوات طويلة. يؤكد روساليس أن عائلته حاولت فعلاً الشفاعة للوركا لدى الكتائب لإنقاذه، ولكنها فشلت، فقررت التزام الصمت. يكشف المؤلف للمرة الأولى «عن رسائل من عائلته موجهة لقائد الفالانخ في غرناطة تتشفع بها للوركا وتصفه بالشاعر الإسباني الأهم، وصديق العائلة المخلص. وفي رسالة شديدة اللهجة، وجهها لويس روساليس - وهو شاعر وصديق للوركا – إلى قائد الكتائب في غرناطة طالبه بالإفراج عن لوركا لأنه متهم بلا دليل، والاتهام الوحيد يأتي بسبب الوشاية والحقد لا غير، ولأن لوركا شاعر يمثل إسبانيا بأكملها، وكان مدافعاً عن حقوق الإسبان كلهم» [3].

ومعلوم أن اسم الشاعر وتراثه الأدبي وإعدامه أمور ظلت ممنوعة من التداول في إسبانيا طوال فترة حكم فرانكو. وبعد زوال الكابوس، رُفع الحظر وأعيد إليه الاعتبار، وجرت محاولات كثيرة للتدقيق في التفاصيل، كان آخرها سنة 2015، حين نُشرت وثائق سرية أرشيفية تعود إلى عام 1965. اطلعت عليها صحيفتا Ser وEldiario.es، منها وثيقة صدرت من «المكتب الثالث لدائرة الاستعلامات الاجتماعية» في قيادة شرطة غرناطة، يمكن اعتبارها ملخصاً للاتهامات الموجهة للشاعر القتيل. و«هي تكشف اعتراف النظام الفرانكوي لأول مرة باغتيال الشاعر. والوثيقة عبارة عن رد رسمي على استفسار تقدمت به الصحافية الفرنسية مارسيل أوكلير للسفارة الإسبانية في باريس، حول وفاة الشاعر الغرناطي. فقامت السفارة بتحويل الاستفسار لوزير الخارجية فرناندو ماريه كاستيلا الذي طلب من وزير المحافظات كاميلو الونزو فيغا بحث «إنْ كان بالإمكان فتح أرشيفنا المُتعلق بقضية لوركا» وتمت الموافقة: وُصف لوركا في الوثائق بأنه «اشتراكي وماسوني ومثلي جنسياً». وتعترف الوثيقة بخصوص تهمة المثلية بعدم وجود أي تفاصيل أو قناعة محددة، بل تستند إلى شائعة، رغم أنّ الملف الخاص بلوركا يحتوي على ما يؤكد أنه كان مراقباً من قبل الشرطة لفترة طويلة، ولكن التقارير تخلو من أي تفاصيل حول ذلك، بينما اعتمد التقرير بخصوص ميول الشاعر الاشتراكية إلى عمله في ديوان الوزير دي لوس ريوس الذي اعتنق هو الآخر مبادئ الحركة الماسونية» [4].

قالت تلك الوثائق، إن لوركا «ماسوني ينتمي إلى محفل «الحمراء» الذي اتخذ فيه الاسم الرمزي «هوميروس»، وتُجهل المرتبة التي وصلها في هذا المحفل. وكان يُنسب إلى الاشتراكيين بسبب ميول مواقفه وعلاقته بفرناندو ديلوس ريوس، إضافة إلى علاقاته الوثيقة بزعماء من التيار السياسي نفسه». وتضيف الوثيقة أن «الحركة القومية المجيدة باغتته في هذه المدينة بعد أيام على وصوله إليها قادماً من مدريد، وتعرض منزله لحملتي تفتيش، ما دفعه للشعور بالخوف واللجوء إلى منزل صديقيه الأخوين روساليس، وهما فالانخيان سابقان». هذه الوثائق تتناقض تماماً مع تصريح صحافي شهير لفرانكو نفسه قال فيه سنة 1937، رداً على صحافي سأله حول سبب إعدام لوركا: «مات ذلك الكاتب بسبب الخلط بينه وبين ماكس برود، الذي وصفه الروائي التشيكي ميلان كونديرا بالكاتب الفاشل والنصّاب الكبير. وتؤكد ذلك صرخة كافكا في إحدى رسائله إن «أوضاعي لا تحتمل، وهي تتناقض مع ميولي ورغباتي الوحيدة وأعني بذلك الأدب. الأدب هو كل كياني ولا أريد ولا أستطيع أن أكون غير ذلك» [6].

أما اتهامه بالمثلية الجنسية، فهو ليس إلا فرية سخيفة الصقها به القتلة أنفسهم، وجمهورهم لاحقاً ومن باب تشويه سمعته، حين كانت هذه التهمة في الثلاثينات تؤدي بالمتهم إلى الإعدام في الدول المحافظة ومنها إسبانيا.

إن الساند في الساحة الأدبية والسياسية الإسبانية، هو أن هذه التهمة لم تُذكر أو توجه للوركا قط إلا بعد انتصار انقلاب فرانكو وهزيمة الجمهوريين في الحرب الأهلية بعقدين. أما قبل ذلك، فلم يرد ذكرها حتى في كتابات أشد اليمينيين عداءً للوركا ولليسار والجمهوريين. وربما كان للحوارات الفنتازية والفضائحية واللاأخلاقية للرسام سلفادور دالي التي أدلى بها للكاتب الفرنسي آلان بوسكي، ونشرها هذا الأخير في كتاب 1960، أي بعد ربع قرن على مقتل لوركا، أقول، ربما كان لها دور في الترويج لهذه الفرية المسمومة التي تبقى شيئاً صغيراً وشديد الخصوصية في سيرة شاعر وفنان عظيم وصديق شجاع للإنسان وقضاياه، ولا يترتب عليها أي حكم معياري بحقه كإنسان شديد النقاء والنبل.

إن سلفادور دالي الذي كان يرتبط بلوركا وبغيره من المبدعين الإسبان والفرنسيين بعلاقات صداقة قوية في سنواته الأولى، معروف بمبالغاته السلوكية المجنونة والفضائحية، وتصل إلى أدنى درجات الانحطاط والخروج على العقل والمعنى رغم عبقريته الفنية، الأمر الذي دفع الحركة السوريالية التي كان عضواً فيها الى طرده من صفوفها، بعد أن اتضحت معتقداته الرجعية الظلامية. ومن تلك المعتقدات تأييده لإبادة السكان الأصليين في أميركا، وإعجابه بهتلر ورسم لوحات له، وتأييده لفرانكو الذي لم يبخل عليه بالعديد من الأوسمة ومنها «وسام الصليب الأكبر لرهبانية إيزابيلا الكاثوليكية» ووسام «الصليب الأعظم لفرسان شارل الثالث»، إضافة إلى تصرفاته الجنونية المعروفة للجميع.

كان لوركا قد أحب آن ماريا، شقيقة سلفادور دالي، خلال إقامته في منزل العائلة في «قداقش» لفترة، ولكنها صدته ولم تتجاوب معه «وقد أثرت تلك العلاقة على حياته العاطفية، ورغم أن المعلومات عن هذه العلاقة غير واضحة، إلا أن كثيراً من

> **أصلي الغرناطي منحني شعوراً بالتآخي مع جميع المضطهدين غجراً وسوداً ويهوداً، ومع الموريسكيين «المغاربة» الذين نحفظ ذكراهم في قلوبنا (لوركا)**

مؤرخيه يرجعون أزمته العاطفية في عام 1929 إلى فشل هذا الحب وتحطمه، والتي لم يجد الشاعر دواء له إلا السفر من بلاده إلى نيويورك حيث قضى عاماً وبعض العام في الخارج» [7]. ولم ينسجم لوركا مع الحياة هناك، «إذ صدمته الحضارة الأميركية، حين اكتشف أنّ عدداً قليلاً من المصرفين عديمي الضمير هم من يملكون العالم» [8]، فعاد منها إلى وطنه بعد جولة في عدد من دول أميركا اللاتينية.

إنها خلطة ساذجة هذه الاتهامات (اشتراكي وماسوني ومثلي)، فندها الناقد الإيرلندي من أصل إسباني إيان جيبسون الذي عُرف «بأعمال متميزة حول الشاعر الإسباني لوركا، إذ أصدر سنة 1971 سيرة مهمة وموثقة عن الشاعر تُحقق، بصفة خاصة، في تفاصيل مقتل لوركا، لكن نظام الجنرال فرانكو منع توزيع الكتاب في إسبانيا». ويرى جيبسون أنّ سبب إعدام لوركا يوجد في مكان آخر. فلنتابع:

أصدر جيبسون كتابه «جريمة قتل غارثيا لوركا» عن «دار أغيلار» في مدريد عام 1979، بعد موت فرانكو بأربع سنوات، نفى وفند فيه «كل المزاعم السابقة، التي ما زالت رائجة حتى اللحظة حول مثلية لوركا وعدم اهتمامه بالسياسة، وأثبت جيبسون ببعض الوثائق والمستندات التاريخية أن لوركا كان مسيّساً وصاحب مواقف مشهودة، بل إنه كان أقرب للاشتراكية و اليسار، وله غير بيان وغير خطبة تنّمان بجلاء عن التزام في الشعر وفي الحياة» [9]. ولكن جيبسون، وبصفته كاتب السيرة الأكثر اعتماداً للشاعر، لم يبالغ إلى درجة الجزم بأن لوركا كان اشتراكياً وحزبياً منظماً، بل وصفه بكل بساطة بأنه كان «أقرب إلى الاشتراكية واليسار». من سيرة لوركا التي كتبها جيبسون التي ترجمت إلى العربية بعنوان «غرناطة لوركا»، أدرج هنا هذه الفقرة التي يصرح فيها بالسبب الأهم لاغتياله: «في بداية الحرب الأهلية الإسبانية، وقبل أسابيع قليلة من اغتيال لوركا في آب 1936، سُئل الشاعرُ عن رأيه في سقوط غرناطة في أيدي الإسبان عام 1492، فأجاب: كانت نكبة - يوماً أسود-، رغم أنّهم يلقّوننا العكس في المدارس: حضارة رائعة، وشعرٌ، وفلكٌ، وعمران، ورقة شعور فريدة في العالم، ضاعت كلّها، لتقوم محلّها مدينة فقيرة هي «جنة البخلاء» التي يلعب بمقدراتها الآن البرجوازيين في إسبانيا».

ظهر هذا التصريح على صفحات أكبر جريدة في مدريد، فكان سبباً مباشراً في موت الشاعر وهو في الثامنة والثلاثين» [10]. ويضيف جيبسون: «وقبل خمس سنين من ذلك، قال لوركا: «أعتقد أنّ أصلي الغرناطي منحني شعوراً بالتآخي مع جميع المضطهدين غجراً وسوداً ويهوداً، ومع الموريسكيين «المغاربة» الذين نحفظ ذكراهم نحن الغرناطيين في قلوبنا». لا شك في أنّ الشاعر كان على علاقة وثيقة بغرناطة التي ضاعت إلى الأبد عام 1492».

أختم بما رواه الشاعر التشيلي نيرودا عن لوركا الذي عايشه، وكان صديقه المقرب وكيف استشرف موته من حادثة وقعت له «حين عاد لوركا ذات مرة من جولة مسرحية قام بها، ناداني كي يقص عليّ حادثة غريبة جداً. كان قد وصل مع فناني فرقته «لا براكا» إلى قرية نائية جداً في قشتالة، فنزلوا في جوار القرية وهناك خيّموا. حين تفتّق الفجر قليلاً، نهض من فراشه وخرج كي يقوم بجولة وحده عبر الحقول المترامية هناك. كان ثمة برد لاذع كحدّ السكين. كان الضباب ينطلق سحائب بيضاء تحيل كل شيء إلى مداه الشجي الرهيب. توقف فيديريكو عند باب عتيق كان مدخلاً إلى مزرعة فسيحة. كان الخلاء والخواء والوقت والبرد تجعل الوحشة أكثر رهبة. هناك جلس فيديريكو على تاج عمود ساقط. جاء خروف صغير ليقضم أطراف الأعشاب بين الأطلال والخرائب. كان ظهوره ظهور ملاك صغير من ضباب يؤنس الوحشة. فجأة وإذ بقطيع خنازير يجتاح الحظيرة. اقتربت أربع أو خمس بهائم داكنة اللون، خنازير شبه متوحشة جائعة وذات أظلاف صلدة. انقضت الخنازير على الخروف تعمل فيه أنيابها، فقطعته إرباً إرباً والتقمته وفيديريكو يرتعد خوفاً. عندما عاد إلى فرقته المسرحية المتجولة، أمرها بمواصلة السير على الفور» [11].

نيرودا، كان على موعد معه في اليوم التالي، لكنه لم يأت، بل ركب القطار ليلاً إلى غرناطة حيث سيذبح القمر. ودعه روفائيل إلبرتي ليلتها، ولاحقاً كتب نيرودا: «كل شيء بدأ بالنسبة لي ليلة 19 من تموز 1936. اقنعني بوبي ديلانغه أن أذهب الى السيرك وأن أصطحب لوركا معي هناك، لنتأكد من أصالة هذا الاستعراض الجميل. اقنعت لوركا واتفقنا على أن نلتقي هناك في ساعة محددة. تخلّف لوركا عن الموعد. كان قد راح ليلقى حتفه، لم أره بعد ذلك أبداً. كان موعده مع مردة وسفاحين آخرين. هذا بدأت حرب إسبانيا بالنسبة إليّ باختفاء شاعر... وأي شاعر! لم أرَ شاعراً مثله اجتمعت فيه اللطافة والعبقرية، القلب المجنح والشال الشفاف. كان لوركا العبقري المُسرف في وحيه وإلهامه، بؤرة الفرح التي تشع كالكوكب بسعادة الحياة. كان نابغة وفكهاً كونياً وريفياً، موسيقياً فذاً وممثلاً رائعاً، كان فزعاً ومعتقداً بالخرافات، لامعاً ونبيلاً، كان خلاصة أعمار إسبانيا وعهودها، صفوة ازدهار الشعبي، نتاجاً عربياً أندلسياً ينير ويفوح مثل أيكة ياسمين على مسرح إسبانيا، كل هذا، يا ويلتي لقد اختفى ..فاواه واه..إنّ فيديريكو غارثيا لوركا لم يعدم رمياً بالرصاص بل اغتيل»!

1-ماهر البطوطي – لوركا شاعر الأندلس – ص 153- الهيئة المصرية للكتاب.
2 - باسم النبريص – جريدة العرب - عدد 22-كانون الأول 2013.
3- قراءة في الكتاب في البيان الإماراتية 27 أيار 2002
4- صحيفة المشاهد 24 عدد 23 نيسان 2015، وترجمة حرفية لبعض تلك الوثائق في مدونة مغربي إسبانية عربية على النت باسم «صلة الرحم بالأندلس» بتاريخ 23 نيسان/ أبريل 2015.
5- ماهر البطوطي – م.س – ص 157.
6- علاء اللامي - كافكا الآخر، ص 34 - مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2012).
7- ماهر البطوطي لوركا شاعر الأندلس - ص60- الهيئة المصرية للكتاب
8- إيثار جمال- مقالة - ساسة 19 آب/ أغسطس 2016
9- باسم النبريص – دراسة - صحيفة العرب عدد 22/12/2013
10- قراءة في الكتاب – القدس العربي – عدد 16 كانون الأول/ ديسمبر 2017
11- بابلو نيرودا - أشهد أني عشت - ص181 –ترجمة محمد صبح – المؤسسة العربية للدراسات – بيروت – ط 2.

* كاتب عراقي

شعر

فيليب جاكوتي: قصائد

وُلد فيليب جاكوتي في 30 حزيران (يونيو) 1925، في مدينة مودون، وهو كاتب وشاعر ومترجم سويسري فرانكوفوني، ترجم هوميروس وهولدرلن وموزيل وريلكه وغيرهم. بدأت رحلته الأدبية مع الترجمة، وسرعان ما تبعتها تجربة شعرية، والأصح مشروع شعري لم يقطع مع البدايات، بل يمكن الحديث بكل ثقة عن تقاطع وتأثير متبادل دائمين بين التجربتين. تحتاج الإحاطة بشعرية جاكوتي إلى بحوث طويلة، لكنها في المجمل تتلخّص في البحث الدائم عن توازن ما بين قيود الكتابة الشعرية التقليدية والتحرر منها والتركيز على قيمتَي النفَس والإيقاع، والاقتصاد في القول، والابتعاد عن سلطة الصورة، والاستمرارية النصية والانقطاع، والبعد القِيَمي لطبيعة الخيارات والنُّيمات. يقول جاكوتي: «النفَس يدفع، يصعد يزدهي، يتلاشى، ينعشنا ثم يفرّ هاربًا؛ نحاول الإمساك به من دون أن نخنقه». ثم يضيف: «لذلك، نخترع لغةً تجمع بين الصرامة والغموض، حيث لا يمنع الإيقاع استمرارية الحركة، لكنه يظهرها، ولا يدعها تضيع بالكامل». يضعنا هذا الاقتباس في صميم شعرية جاكوتي، أي البحث الدائم عن نقاط التوازن بين المتناقضات. في شعر جاكوتي، القليل هو القاعدة التي ترتكز إليها الكلمة. الكلمة تشير إلى الصمت وتنزع إليه، لتستقبل الصدى الذي لا يتردّد إلّا على تخوم اللغة. تكاد الصورة الشعرية تكون غائبة تماماً لدى جاكوتي، فهو يَحْذَرُها كثيراً، يقول: «كل يوم، يخترع الأطفال صوراً شعرية، وقد اغرق السورياليون الشعر الحديث بالصور، وإذا انزلقنا إلى هذا المنحدر، فإن ذلك يُنتج فورةً من العلاقات الغريبة التي تُصوّر لنا أننا اكتشفنا البنى السرية التي يقوم عليها العالم، بينما لم نفعل سوى استخلاص التأثيرات القصوى لنقص الدقة والتشويش في التعبير». يتشظى نص جاكوتي شعرياً، ويتشذّر، تأتي جملياته على شكل حطام، او تفتُّت حتى. لكنه يحافظ على استمراريته ووحدته في التأمل عبر الحفر في أرض من التساؤلات والشك وعدم اليقين. يقول: «الجمال: بذرة في مهبّ الريح، والعواصف، لا تُحدث أدنى ضجيج. تائهة غالباً، ودائماً مدمّرة، لكنها مصادفةٌ تصرُّ على الازهار».

أخيراً قِيَميّة الخيارات: جاكوتي شاعر يفحص، يشك، يتساءل، ويبحث عن صوت صحيح صادق، فهو يرفض الخداع، بالنسبة إليه، ليس الشعر زخرفة ولا بذخاً ولا كذباً، ولا لعباً، بل هو الفن الذي يجعل ابسط كلمة ترتعش

ترجمة وتقديم **اسامة سعد**

1. الاعتراف في الظلام

حركات وأشغال النهار تخْفي
النهار.
فليقترب هذا الليل وليكشف إذن
عن وجوهنا.
ربما دُفع بابٌ في هذه الجوار، مدىً
فسيحٌ مُهدىً لسُكنانا.
تكلّمْ، الآن، أيها الحب.
تكلّمْ، أنت الذي ما عاد يتكلّم
منذ سنين من الغفلة أو الوقاحة.
اقترِضْ من الظلمة الخفيفة صبرَها
وقُلْ، كمثل نفسٍ بين أشجار الحور:
«لقد مُنحتُ في هذا المكان رقّةً
مضطرمةً متّقدة، لن يفصلني عنها
أحد ما لم ينتزع يدي، ليس لديّ من
دليل آخر يرشدني على هذه الدرب،
نضارتُها ونارها تتناوبان التألّق
على شجيرات الأسيجة...»
ولكن فليبقَ ما يجمعنا خفياً، أيها
الحب: إن ظلمة الليل الأشدّ هي
الضوء، منبع إيماءاتنا العنيدة
عصيٌّ على الوصف، وأسفل أسفل
الأرضِ تحلّق حيواتنا المظلمة.
فقط قُلْ مرّة أخرى:
«أيها الشمع المحترق تحت شموع
أخرى
قُدني، اتوسّل إليك، نحو هذا
الزجاج الذي يلوح في الأفق، ادفعْ
معي هذا الجدار الخفيف القاطع
كنصل، انظرْ كيف نمضي دون
مشقة في إمبراطورية الظلام...»
ثم بعد ذلك، بُحْ لجارة الليل بحرّ
امتنانك.

2. قمرٌ فجر صيفي

في الهواء الذي يشتدّ نقاوةً ما
زالت تتلألأ هذه الدمعةُ أو الشعلةُ
الواهيةُ في الزجاج بينما من نوم
الجبال تصعد غشاوةٌ مذهّبةٌ
منزلٌ معلّقٌ هكذا على ميزان الفجر
بين الجمرة الموعودة وهذه اللؤلؤة
الضائعة.

3. فجر

يخيّل إليّ أن إلهاً يستيقظ، ينظر
إلى بيوت الخضرة والنوافير
إلى نداء على وشوشاتنا، على
عرقنا
يؤلمني أن أتخلّى عن الصور
يجب أن يخترقني المحراث، يخترق
مرآة الشتاء، العُمرَ
يجب أن يبذرني الزمن.

4. جرحٌ مرئيٌّ من بعيد

آه! العالم أجمل مما يلزم لهذا الدم
سيئ التغليف، الذي دائماً ما يبحث
في الإنسان عن اللحظة التي يفرّ
فيها هارباً!
ذاك الذي يتألّم، تحرقه نظرته
ويقول لا، لم يعد يعشق حركات
الضوء، يلتصقُ بالأرض، لم يعد
يعرف اسمه، فمه الذي يقول لا
ينغرز بفظاعة في التراب.
قد تجمّعت فيّ دروب الشفافية،
سوف نتذكّر طويلاً خلواتنا
السرية، ولكن يحدث أيضاً أن يكون
الميزان مشبوهاً، وعندما يميل بي،
ألمحُ الأرض ملطخةً بالدماء.
ثمة ذهب كثير، هواء كثير في هذا
الورور الذي ينحني عليه مرتدياً
ملابس من ورقٍ رديء.

5. الشتاء

رغم أني عرفتُ كيف أمنح كلماتي
أجنحةً، كنتُ أراها تدور بزاقة في
الهواء، كانت تقودني نحو الفضاء
المشعّ...
أأكونُ إذن حبيس كانون الجليديّ
كمثل عجوز ذاهل بلا صوت، خلفَ
النافذة، تزداد ظلاماً من ساعة إلى
ساعة، يتوه في ذاكرته، وإذا ابتسم
فلأنه يعبر شارعاً مشرقاً، لأنه
يلتقي شبحاً مغلق العينين، الآن
ومنذ سنين بارداً كبرد كانون...
هذه المرأة التي تحترق هناك بعيداً
جداً، إذا سكتّ، من سيقول لها أن
تضيء بعد، ألّا تغور مع النيران
الأخرى حيث تُحوّم العظام في
الغابات؟
من يفتح لي في هذه الظلمات درب
الندى؟
لكنّها الآن، وقد مسّها النداء الأوهن،
تُحَسُّ في العشب الساعةَ التي
تسبق النهار.

6. على خطى القمر

إذ كنت أنحني على النافذة هذه
الليلة،
رأيتُ العالم وقد صار خفيفاً
وما عاد فيه من عقبات.
كلّ ما يُبقينا في النهار
بدا وكأنّ عليه أن يحملني الآن من
فتحةٍ إلى أخرى
داخل مسكّن من ماء، نحو شيءٍ ما
مفرط في الوهن، ولامع كالعشب:
كنتُ أهمُّ بالدخول في العشب
دونما رهبة،
كنتُ على وشك شكر برودة الأرض،
على خطى القمر، قلتُ نعم ومضيتُ..

7. مسكن

منذ زمنٍ بعيدٍ أسعى إلى العيش
هنا،
في هذه الغرفة التي ادّعي أنّي
أحبّها،
الطاولة، والأشياء خِلْوَةُ البال،
والنافذة التي كلما انقضى ليلٌ
تفتحُ خضرات جديدة،
قلب الشحرور الذي يخفق في
اللبلابة الداكنة،
والأشعة الأولى في كل مكان
تجهزُ على الظلمة المحتضرة.
أنا أيضاً، أقبَلُ بالاعتقاد أن الطقس
عذبٌ
وأنّي في البيت،
وأنّ نهاري سيكون طيباً.
فقط، هناك تلك العنكبوت
عند قائمة السرير،
لم أسحقها بما فيه الكفاية،
ويخيّل إليّ
أنها ما زالت تنسج الفخَّ
الذي ينتظر شبحي الهشّ.

8. كلمات في الهواء (سدى)

قال الهواء شديد النقاء:
«كنتُ بيتك ردحاً من الزمن،
ولكن، سياتي مسافرون آخرون،
وسيحتلون مكانك،
وأنت الذي طالما أحببتَ الإقامة ها
هنا،
أين ستذهب؟
أرى غباراً على هذه الأرض، أراه
جيداً،
لكنّك كنت تنظر إليّ، وكانت عيناك
مالوفتَين؛ وكنتَ أحياناً
تغنّي، أهذا كل شيءٍ إذن؟
حتى أنك كنت تتحدث إلى شخص
ناعس معظم الوقت،
كنت تقول له، لو لم يكن لضوء
الأرض معنىً لم ينتبه له الموتُ،
لما كان بهذا النقاء،
كنت ترى نفسك تتقدّم في هذا
الاتجاه،
مع ذلك، لم أعُد أسمعك: ماذا فعلتَ؟
ماذا ستفول شريكةُ حياتك؟»

تجيبُ عبر دموعها السعيدة:
«لقد تحوّلْ إلى هذا الظل الذي كان يروق
له كثيراً»

فصلٌ من رواية

مدينة أبي (*)

كفى الزعبي (**)

«سأعودُ إلى المضارب»، قلتُ لأمّي قبل أن تبتعد عن النافذة، فظلّت متجمّدةً في مكانها. تسقط أضواء الشارع عليها من الخلف، وينغمس وجهها في عتمة الغرفة. يرين الصمت، وتواصل عيناها الناظر إليّ شاخصتين.
أعرف هذا الصمت الذي ينتفخ لحظة الصدمة، حينما تموت الكلمات فجأة. يظل بمقدورك أن تسمع العالم، أن تراه، أن تشمّه، لكن ليس باستطاعتك أن تفهمه، لأنك لا تمتلك الكلمات. أنا أيضاً بقيت صامتاً أتمعّن في القرار الذي نطقته في اللحظة ذاتها التي اتخذته فيها. لم أفكر به قبل ذلك. أو لاقل إنني لم أفكر به على نحو جليّ وواضح بواسطة اللغة. كان على الدوام يعوم في داخلي كبقعة هلامية، ليس لها شكل محدد. كأنك لا تدري عنها، لكنّها تتصلّب في لحظات ليس بوسعك التنبؤ بها. تصفر معلنةً عن وصولها إلى رأسك، أو إلى صدرك وأحياناً إلى يديك وقدميك، فتكفّ عن أي فعل تمارسه، وتتحوّل حياتك إلى فراغ ينتهي بعلامة استفهام ذاهلة.
حينما استردّت أمي قدرتها على النطق، قالت إن هذا هو أكثر ما كانت تخشى سماعه طوال عام ونصف. أضافت وهي تبتعد عن النافذة، قائلةً بنبرةٍ واثقةٍ وحاسمة: «لن أسمح لك». ومع أنها أغلقت باب غرفتي خلفها، رأيتها تتجه إلى المطبخ، تجلس فيه، تدخن بتوتر، وتضيع في متاهات القلق.
إنه يوم أحد أياريّ، قضّته بصحبة قريبة لها. ذهبتا في الصباح إلى المقبرة لزيارة قبور أهاليهما، وفي طريق العودة، عرّجتا على متجر اشترتا منه زجاجة نبيذ. قالت لي أيضاً وهي تزيح الستائر عن النافذة، إنهما شربتاها وهما تجلسان في مطبخ قريبتها الصغير، تجترّان ذكريات جعلتهما تضحكان أحياناً، وفي غمرة الضحك تتحوّلان إلى البكاء، كارملتَين مجنونتَين ومهجورتَين، حتى انقضى النهار.
وجدتني حينما عادت، جالساً في الظلام. فوجئتُ بها تفتح الباب. وفوجئت هي بصوتي يمنعها من إشعال الضوء.
قالت: — يجب أن تستيقظ. ثم يجب عليك أخيراً أن تغيّر برنامجك هذا. تنام في النهار وتستيقظ في الليل.
— لم أكن نائماً.
— فتحتُ الباب لأنني لم أسمع صوتك، فظننتُ أنك لا تزال نائماً.
قالت ذلك وهي تتجه إلى النافذة، تزيح الستائر عنها وتفتحها. ثم أخذت تحدثني عن نهارها الذي قضته بصحبة قريبتها.
أسمع الآن جلبتها في المطبخ وهي تفتح أبواب خزائنه وتصفقها. بعد قليل، أسمع خطواتها تقترب. تقف في الباب وتسألني بتوتر عمّا عساه حدث وجعلني أعود إلى هذا الموضوع الذي كانت تأمل أنه مضى. ولا تمنحني فرصة لأجيب. يسعدني ذلك لأنني لا أعرف بماذا أجيب. أدرك سريعاً أن إجابتي لا تهمّها. لا يهمّها سبب قراري، بقدر ما تريد أن تنتزع مني الآن وفوراً، وعداً بالتراجع عن هذا القرار.
تؤنّبني تارةً على استهتاري بحياتي، ورغبتي في تبديدها من أجل الهباء. وتارةً أخرى تتوسّل إليّ بلسان متلعثم أن أصرف النظر عن المضارب وأهلها لأنها تخشى أن يحطّم ذلك حياتي ثمّ تفقدني. تتخبّط في الكلام، ويتهدّج صوتها، وتنهار جالسة قبالتي على حافة السرير، فأرى في بقعة الضوء الداخلة من النافذة جانباً من وجهها. تقول أموراً تقودها إلى البكاء ويبدو لي أنّني أشمّ رائحة دموعها.
ملوحة تنتشر في الهواء وتطوّقه من جميع الجهات، فيغدو على حافة الاختناق. أشعل سيجارة وأدخنها، وفي هذا الوقت يستعيد صوتها صلابته وهي تستعين بالتهديد. تقول إنّها ستمزّق وثيقة سفري. ستحرقها. ستحرمني من النقود. ستفعل كل ما من شأنه أن يمنع سفري، حتى لو تطلّب الأمر أن تقيّدني بسلسلة إلى وتد في الأرض.
تطوف كلماتها من حولي وأنا غارق بكلماتٍ أخرى. ثمّ تسألني لماذا أنا صامت ولا أجيب؟ ولا أعرف عن أي سؤال أجيبها، مثلما لا تعرف هي. تنهض وتمشي، وعند الباب تتوقف وتطرح سؤالاً محدّداً بنبرة تكاد تكون متوسّلة: — أأنتَ جادّ فعلاً؟!
— أجل.
— لماذا؟ أرجوك قل لي لماذا؟!
— هذا مهمّ بالنسبة لي.
— لا أدري ما الجديد الذي حدث اليوم وجعلك تعود إلى هذا الموضوع. لقد ظننتُ أن كل شيء مرّ، وستغدو الأمور أخيراً على ما يُرام. كنتُ مخطئة إذن!
أجبتُها باختصار أن شيئاً جديداً لم يحدث اليوم. وكنت صادقاً في إجابتي، فقد استيقظتُ وجلستُ — كما في كل يوم — على حافة السرير، في المكان ذاته الذي جلست هي فيه قبل قليل وبكت. ربّما الفرق يكمن اليوم في أن الشمس كانت ساطعة، وتسيل في غرفتي عبر النافذة، وثمّة موسيقى تصدح قادمة من الحديقة المجاورة. ومن الشارع وصلني اعتراف أحدهم بحبّه، هاتفاً بصوتٍ عالٍ: «أحبّك يا ليزا». سمعتُ ليزا تجيبه: «يا لك من كاذب»، وتعفر الهواء بصوت ضحكتها، وضحكات وأصوات آخرين يملأون الشارع. وهذه أشياء تحدث أحياناً في أيام الأحاد، لا سيّما حينما يكون الجو دافئاً والسماء صافية. تمتلئ غرفتي بصخب أناس سعداء يتنزّهون في الشارع.
نظرت إلى لوحة سناء المعلقة على الجدار قبالتي، كما أفعل يومياً في الدقائق الأولى بعد استيقاظي من النوم. طير له رأس امرأة، على رقبتها عقد لؤلؤ، تنتعل حذاء أحمر كعبه عال، وتسير ذاهبة في نزهتها.
يخامرني إحساس وأنا أتمعّن في الطير-المرأة أنّ وجودي هنا مؤقّت، وأنني لا أنتمي لهذا المكان، ولهذه المدينة. أأنتمي للمضارب إذن؟ أيضاً لا. لا أدري ما هو المكان الذي يمكن لي أن أنتمي إليه.
أثناء نومي كنت رأيت سناء في الحلم: نستيقظ فجأة من نومنا غير المريح في قطار متحرك. أمسك بيدها حينما يتوقف ونقفز سويّة عند محطة لا نعرفها. أرى الآن الطريق التي كانت تمتدّ أمامنا: أفقها يبدو في البعيد ضيقاً، لكننا، وكلما تقدّمنا اتسع.
أردت أن أهجر جميع الأمكنة وأذهب معها في نزهة طويلة لا أدري إلى أين.
أزحتُ نظري عن اللوحة، ورحت أراقب ضوء الشمس ينحسر شيئاً فشيئاً عن خزانة الملابس، إلى أن باتَ مستطيلاً صغيراً، يلتمع خشب الأرضيّة في حدوده. كانت الساعات تجرجر نفسها ببطء، وأنا ساكن بلا حراك أتابع ذوبان خوائها في الخواء. لم يحدث شيء جديد. لكنني اكتشفتُ في لحظة أنّ الشمس والجوّ الربيعي الصافي وصخب الناس في الشارع، تزيد مزاجي سوءاً. لهذا، نهضت سريعاً، ما إن أدركتُ ذلك، وأغلقتُ النافذة وأسدلتُ الستائر عليها.
لم أقل لأمي إن هذا القرار عاد معي من هناك قبل عام ونصف. دخل معي إلى هذا البيت، وعاش معي. لم أقل لها إنني خلال الفترة الماضية كنت أحاول التصرّف كأنني أنا هو الشخص الذي كنته سابقاً، وكأنني أصدّق أنّ الأيام تمرّ، وأنّ كل شيءٍ سيكون على ما يرام.
«كأنني...». لم أنسَ أبداً أن هذه الكلمة هي التي يتوقف عندها النصّ الذي كتبته في المضارب قبل عودتي إلى هنا بحوالى أكثر من شهر. لم أنسَ هذا النصّ بقدر ما أهملته. أقصد أنني فقدت كل اهتمامي به ولم أعد إليه على مدار عام وأكثر من نصف العام. ظلّ منبوذاً يتنهّد في جوف جهاز الكمبيوتر المظلم؛ فيلفحني، كلّما تناهى إليّ صوتُ تنهداته، غبار أحلام تفسّخت.
كنت عنونته باسم المدينة ذاتها: «المضارب». افتتحته بجملة قصيرة: «رأيته ينهض». واسترسلتُ فيه بالسرد إلى أن بُتر فجاة عند جملة غير مكتملة: «فاغرقت وجهي بالقبل كأنني...». عند تلك الكلمة تحديداً — كأنني — في تلك الساعة المبكرة من ذلك الصباح الماطر، رنَّ الجرس وصاحبه طرقَ قويّ على الباب، فتركت الكتابة ونهضت لأفتحه. لن أنسى ذلك الطرق أبداً.
ومثلما بُترت تلك الجملة وذلك النص، في تلك اللحظة، عند تلك الكلمة، بُترتُ أنا أيضاً، وبتُّ مُذّاك حبيسها: كأنني هنا. كأنني في الآن. كأنني أنام. كأنني أصحو. كأنني أحيا. بتُّ أيضاً جملة مبتورة ومنقوصة المعنى. أريد للمعنى أن يكتمل.
أنظر عبر النافذة. لقد أفل النهار منذ ساعات. لم يبقَ في السماء ضوء سوى بريق كاب لنجوم بعيدة ترصع السواد. لعل هذه النجوم انطفأت منذ ملايين السنين، لكنها لا تزال تشعّ — فكرت. نجوم منطفئة يأتيني ضوؤها من زمنٍ سحيق. على هذا النحو أيضاً تضيء الوجوه في مخيّلتي. يأتيني ضوؤها من هناك. من المضارب، مدينة أبي — المدينة ذاتها التي لا تعرف البحر.

(*) الفصل الأول من رواية بالعنوان، تصدر قريباً عن «دار الآداب» البيروتية، تدور أحداثها في مدينة عربية معتمة بواقع ديستوبي، يشلها ثبات العقل والزمن واللغة. تشتبك فيها قصّة البطل مع قصّة الرواية التي يكتبها، محاولاً العثور على إجابة عن السؤال الذي يؤرقه: ما الجدوى من الدفاع عن هذه المدينة إذا كانت تقتل الذين يدافعون عنها؟

(**) روائية أردنية صدرت لها ست روايات: «سقفٌ من طين»، «ليلى والثلج ولودميلا»، «عُد إلى البيت يا خليل»، «ابن الحرام»، «س»، و«شمس بيضاء باردة» التي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة «بوكر» عام 2019.

غاستون لاكومب ــ «وفرة» (صورة فوتوغرافية وتصميم يدوي بالحبر على لوح قطن 2019)

تاريخ

تيم ماكنتوش-سميث: «العرب» تاريخ شامل خارج الرواية الرسمية

سعيد محمد

لا يكتب التاريخ على عواهنه. إذ تُولي النُخب المهيمنة عبر مؤسساتها الأكاديميّة والتعليميّة والثقافيّة جهداً منسقاً وراء الكواليس لضمان استمراريّة الخط العام لسرديتها، وتقمع بلا هوادة أيّ خروج على النّص ومنعاً ومصادرة وتحديداً للوصول إلى الوثائق، وربّما تضييقاً على الرزق بل حتى بالقتل والإخفاء. هناك قصص كثيرة عن مؤرخين خرجوا عن السياق، فدفعوا أثماناً طائلة سواء في غرب الديمقراطيّات المزعومة أو في الشرق. تاريخ العرب ونشوء إسلامهم وعلاقاتهم باليهود وباديان شعوب المنطقة، واحدة من هذه المساحات التي تتقاطع على حماية الرواية الرسميّة عنها مصالح نخب الغرب والشرق معاً. ولذلك لا يتجاسر كثيرون على التصدي لمهمة كتابة تاريخ شامل عن العرب، مكتفين بنصوص مستشرقة كلاسيكيّة توافق الهوى الاستعماري ولا تحيد عنه، أشهرها نص فيليب حتّي المنشور عام 1937 (بعد جهد عشر سنوات من البحث بناء على طلب الناشر دانيال ماكميلان شقيق رئيس الوزراء البريطاني هارود ماكميلان)، ولاحقاً كتاب المؤرخ البريطاني ذي الأصول العربيّة والأستاذ في «جامعة أكسفورد» ألبرت حوراني، الذي كان نشر عام 1991. ذلك بالطبع إضافة إلى ألوف الكتب المتراوحة الأهميّة بأقلام عربيّة وغربيّة، اقتصرت على البحث في مراحل أو جوانب مختلفة من تاريخ تلك الجغرافيا الممتدة في قلب العالم القديم من الخليج الفارسيّ إلى شواطئ الأطلسي، ومن قمم جبال زاغروس إلى نهايات القرن الأفريقي.

تيم ماكنتوش-سميث، المؤرّخ والأديب والرحّالة البريطانيّ المعاصر اختار بعد ثلاثين عاماً من نص حوراني، أن يراوغ الرواية الرسميّة لتاريخ شامل للعرب من دون أن يقطع معها بالكليّة في كتابه الأحدث «العرب: 3000 عام من تاريخ الشعوب والقبائل والإمبراطوريّات» (منشورات «جامعة ييل»). كقراءة نوعيّة ثريّة جديدة، ستغدو بدون شكّ مرجعاً لا بدّ منه ليس للباحثين المتخصصين فحسب، بل أيضاً كقراءة مثيرة ممتعة للقارئ المعاصر المهتم، ودليل سفرٍ للإبحار في ماضي منطقة في اشتباك حضاري دائم مع إمبراطوريّات التاريخ المتعاقبة، وعدّة فكريّة لبناء تصور عام عن جذور مجموعة بشريّة يوفق تعدادها اليوم عن 400 مليون نسمة.

قدرة ماكنتوش-سميث على عبور موضوع شاق كهذا وتقديم نصّ خلاب متماسك متفوّق على كلاسيكيات الاستشراق، ليست متأتيّة من نثره المتمكّن، وصياغته اللغويّة الذكيّة فحسب بل أيضاً من خلال تجنبه الوقوع في صيغة الفصل الدائم بين تاريخ للعرب قبل البعثة النبويّة (بحسب أغلب المصادر)، فإن الرّسول محمد بن عبد الله توفي في عام 632 ميلاديّة)، وتاريخ للعرب بعدها. رغم أن البعثة كانت من دون شكّ مفصلاً بين مرحلتين اختلفت فيها الديناميّات الحضاريّة جذرياً، فإن ذلك كان دائماً يتسبب في تغييب نوع من سردية شاملة عريضة تبدأ من أوّل ذكر لقوم من العرب في النصوص الأشوريّة القديمة (عام 853 قبل الميلاد عن أحد الزعماء الذين دعموا ملك دمشق في معركة قرقار اسمه جندبو يقود ألفاً من الرجال على ظهور الإبل)، وتنتهي بأيامنا المعاصرة بعدما ضرب الربيع العربي المزعوم أطنابه في غير ركن من أركان هذا «العالم العربيّ» فداماه. ولذا، فإن تاريخ الـ 3000 عام وفق ماكنتوش-سميث يجعل من مرحلة البعثة النبوية كأنها واسطة عقد يجمع مراحل متفاوتة، لكنها تشترك معاً بخط السّرد ذاته. أما الأمر الآخر، فهو ذلك الشغف الحار الذي يُلف النّص من أوّله إلى آخره. لمؤلف معروف باكاديميته الرّفيعة، لكنّه في الوقت عينه، يكتب من الميدان بين الناس موضوعه وعلى الأرض مباشرة حيث يقيم (في صنعاء اليمن، مع أسفار كثيرة حول العالم العربي من دبي وحتى نواكشوط)، لا من مكتبات الجامعات العاجّية الباردة.

يبني ماكنتوش-سميث مقاربته التاريخيّة الطموحة على نظريّة تعاقب الدول التي صاغها المؤرخ الجليل ابن خلدون متعزلاً عن الناس في ناحية من الريف الجزائري، فيستعير منها ثيمات أساسيّة مثل البداوة والحضر، و«العصبية»، وثقافة «الغزو»، وتعاقب الدّول بالغلبة، لكنّه يُعصرنها ويمنحها شكلاً مقروءاً في أيامنا من دون أن تفقد جذورها الخلدونيّة القديمة. ويوضح مبكراً في نصّه أن إطلاق كلمة «العرب» على عواهنها ليست إلا كسلاً فكرياً، ويميل إلى أن صفة عرب كانت في نصوص الحضارات القديمة أقرب إلى معنى البدو منها إلى وصف مجموعة عرقيّة محدّدة، بينما لم يتبنّ العرب أنفسهم تلك التسميّة لهم (في نقوش نبطيّة قديمة) قبل مرور ما لا يقلّ عن 1200 عام على النصّ الأشوري الأوّل. ويشير إلى أن اجتماع مهارة الخيل مع توفّر الإبل منح سكان شبه الجزيرة القدماء ميزة قتاليّة استثنائيّة للقتال عبر جهات طويلة: الخيول للصدام العاصف، والإبل للخدمات اللوجستيّة عبر الفيافي القاحلة، ولذلك نجحوا رغم قلّة عددهم في ترك بصمتهم الخاصة في حروب الإمبراطوريات الكبرى المحيطة بهم.

يعطي ماكنتوش-سميث وزناً كبيراً للعرب الأنباط في الجانب الغربي من الهلال الخصيب (جوار البتراء)، ودولتهم الممتدة 300 عام غربي الجزيرة العربيّة نحو «مدائن صالح»، ويعتبر لغتهم أصل اللّغة العربيّة، ونقوشهم أوّل نصوص عربيّة مكتوبة، لكنّه ينأى بنفسه دائماً عن اعتبارات عرقيّة وجغرافيّة وقوميّة أو حتى محددة تجمع قبائل العرب باستثناء لسانهم المبين الذي يصفه بالعبقريّة والشموخ. وهو يسجّل أن المسلمين الأوائل انتشروا عبر «العالم» العربي كما نعرفه اليوم بثلاثيّة الفتوحات والإسلام والعربيّة، وأن الفتوحات سرعان ما انتهت، وتعايش الإسلام مع أتباع الديانات الإبراهيميّة الكبرى، بينما بقيت العربيّة وحدها جامعة للكلمة ونوعاً من هويّة موحدّة وذاكرة مشتركة.

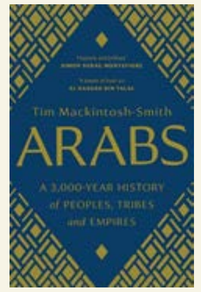

يستعير من ابن خلدون ثيمات أساسيّة مثل البداوة والحضر و«العصبية»، وثقافة «الغزو»

ينبه ماكنتوش-سميث قرّاءه بأن القرآن ـ مع ملاحظة قيمته كنص مقدّس يتمركز الدين الإسلامي ـ كان الكتاب المؤسس الأوّل للعربيّة بعدما نضجت، وأنه تحديداً يمنح اللغة العربيّة سرّ ديمومتها بعد كل هذه القرون في الوقت الذي انقرضت لغات أخرى أو كادت، وتموضعت أخرى في أطر جغرافيّة وعرقيّة ضيّقة. ويرى أن اللغة العربيّة الفصيحة كانت – وما زالت – لازمة لا بدّ منها لكل من تصدى لمهمّة القيادة وجمع «الكلمة»، وأنّ حسن الخطابة بها بمثابة مدخل إجباريّ إلى قلوب «العرب». ويضيء على القرار التاريخي للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بتبني العربيّة لغة لدواوين الدولة بوصفه منعطفاً أضاف الدولة إلى الدين في نموذج انتقل مع مراحل انتشار الإسلام وتعولمه فيما بين الهند والأندلس. وهو ينصح قرّاءه الإنكليز بعدم مقارنة موضع الشعر والكلام الفصيح في الثقافة العربيّة بموضعهما الهامشيّة في ثقافات العالم الأخرى، فهؤلاء قوم كان الشعراء فيهم منذ آلاف السنين، ومفتتح كتابهم المقدّس «إقرأ» (أي اتْلُ) باسم ربّك الذي خلق».

يسرد الكتاب مراحل تاريخ العرب والقبائل التي حملت صفة الـ «عرب» هذه بتوازن مقبول بين ما قبل الإسلام وما بعده، وهو لا يقصر عن مدّ الحكاية لطرح تجاربهم المعاصرة منذ انتهاء عهد الاستعمار الكلاسيكيّ في بلادهم استقلالاً، ودولاً قطريّة ووحدة فاشلة، وحروباً وانقلاباً وصراعات، عاقداً المقارنات، ورابطاً الماضي بالحاضر بأدواته المستعارة من ابن خلدون ومضيفاً من التفاصيل والملاحظات الذكيّة ما ينعش العقل.

لكن أيّام العرب الذهبيّة تبقى عنده في بغداد الدّولة العباسيّة عندما كانت عاصمة للحضارة العالميّة، وبدينارها عملة التّجارة الأولى عبر القارات، كما الدولار الأميركي اليوم. مدّ الحكاية هذا كان تحديداً جريمة ماكنتوش-سميث التي جعلت كتابه غير مرغوب به في دوائر آل سعود بعدما وصف المرحلة الناصريّة بأنها كانت ـ رغم تغييبها المبكر ـ «عصراً للامل»، وأن الفتوحات الكثيرة، وتعايش الإسلام مع الديانات الإبراهيميّة الكبرى، بينما بقيت العربيّة وحدها جامعة للكلمة ونوعاً من هويّة موحدّة وذاكرة مشتركة.

ينبه ماكنتوش-سميث قرّاءه بأن القرآن ـ مع ملاحظة قيمته كنص مقدّس يتمركز الدين الإسلامي ـ كان الكتاب المؤسس الأوّل للعربيّة بعدما نضجت، وأنه تحديداً يمنح اللغة العربيّة سرّ ديمومتها بعد كل هذه القرون في الوقت الذي انقرضت لغات أخرى أو كادت، وتموضعت أخرى في أطر جغرافيّة وعرقيّة ضيّقة. ويرى أن اللغة العربيّة الفصيحة كانت – وما زالت – لازمة لا بدّ منها لكل من تصدى لمهمّة القيادة وجمع «الكلمة»، وأنّ حسن الخطابة بها بمثابة مدخل إجباريّ إلى قلوب «العرب». ويضيء على القرار التاريخي للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بتبني العربيّة لغة لدواوين الدولة بوصفه منعطفاً أضاف الدولة إلى الدين في نموذج انتقل مع مراحل انتشار الإسلام وتعولمه فيما بين الهند والأندلس. وهو ينصح قرّاءه الإنكليز ماكنتوش-سميث مهماً أمتع وأبدع، فإنّه بحكم الواقع الموضوعيّ يصوّر النظرة التي ترانا بها عيونٌ أجنبيّة في قلب هذا العالم الكبير، وليس بالضرورة صورة مطابقة للواقع كما يمكن أن نراها من غرف بيتنا العربي الكثير. ومع ذلك، فإن «العرب: 3000 عام من تاريخ الشعوب والقبائل والإمبراطوريّات» ـ رغم احتفاظه بخط الرّجعة مع الرواية الرسميّة ـ كتاب مشغول بمحبّة واقتراب. ولذا فهو ينقل إلى قارئه نوعاً من حزن شفيف من القلب على المصائر التي انتهت إليها أحوال هذه الشعوب والقبائل بعد تاريخ مديد، «فكأنك – يكتب ماكنتوش-سميث – ترى صديقاً قديماً وعزيزاً يفقد عقله رويداً رويداً، ويغرق في موت بطيء».

لمحات

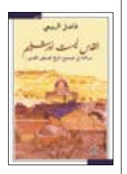

فاضل الربيعي

يحاول فاضل الربيعي الإجابة عما إذا كانت القدس هي نفسها مدينة أورشليم في الكتب اليهودية المقدّسة في مؤلّفه «القدس ليست أورشليم – مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين القديم» الذي صدرت طبعة جديدة منه عن «دار الرافدين». يدحض الباحث العراقي في مؤلّفه السردية التاريخية الإسرائيلية المعاصرة والتي تزعم بأن القدس هي نفسها أورشليم من خلال مقارنتها مع وصف التوراة للمدينة. يوغل الكاتب عميقاً في النص العبري كاشفاً عن حقائق غُيّبها الترويج الزائف لأسطورة أرض الميعاد في السردية الإسرائيلية.

الياخاندرو سامبرا

بعدما أصدرت له «دار الساقي» رواية «زهرة الحب»، ستصدر الترجمة العربية لروايته «الحياة السرّية للأشجار» (ترجمة محمد مصطفى) للكاتب الياخاندرو سامبرا. يعدّ سامبرا من أبرز الأصوات الأدبية التشيلية المعاصرة وأحد رواد الموجة الجديدة، بفضل أساليبه التجريبية في الرواية المحلية خصوصاً في تناوله لتاريخ البلاد القاتم. في هذه الرواية تتوالد حكايات كثيرة بقصّها جوليان كلّ ليلة لابنته دانييلا قبل النوم بعد اختفاء زوجته فيرونيكا، فيما يواصل في الوقت نفسه كتابة روايته.

اناهيد الحردان

في «الفلسطينيون في سورية: ذكريات نكبة مجتمعات ممزقة» (مؤسسة الدراسات الفلسطينية – محمد الأسعد) تتقصّى أناهيد الحردان تطوّر مفهوم النكبة في خطابات الفكر العربي وسياسة سوريا تجاه الفلسطينيين ومن خلال إحياء المجتمع الفلسطيني في سوريا لذكرى النكبة. تلجأ الحردان إلى مقابلات ميدانية مع ثلاثة أجيال مختلفة من فلسطينيي سوريا، لتظهير أهميّة النكبة ودلالتها الراسخة بين الجماعات الفلسطينية، بالإضافة إلى التغيير الذي طال مفهوم وذكريات النكبة لدى الفلسطينيين.

شربل داغر

يواصل الناقد والشاعر اللبناني بحثه في الانبثاق التاريخي للقصيدة العربية في كتابه «خارج القصيدة – بين تلفّظ المتكلّم والتعالق مع الغير» (دار خطوط وظلال). يتوقّف داغر عند علاقة القصيدة العربية بالمكان الاجتماعي، وبالمكان السياسي خلال سياسات الاستقلال العربية وذلك عبر مفاهيم عدّة مثل الوطن والأمة والكيان. كما يتتبع علاقات القصيدة بين الإنسان والعالم، وأساليبها الغربية مثل قصيدة النثر، وأخرى من خارج الشعر نفسه مثل السينما والتشكيل.

لطيفة الدليمي

يجمع «إضاءة العتمة – أفكار ورؤى» (دار المدى) مجموعة من مقالات كتبتها لطيفة الدليمي بين عامي 2018 و2019. تتنوّع مواضيع النصوص والمقالات التي كتبتها الروائية والمترجمة والناشطة العراقيّة في مجال حقوق المرأة، إذ تنطوي على أفكار ومواقف وخلاصات من الواقع العربي والعراقي الراهن. وتقسم المقالات إلى مجموعة من العناوين تشكّل ثمانية فصول منها الثقافة والتعليم والترجمة إلى جانب فصل أخير خصّصته لاستعادة شخصيات عراقية.

محمد ابو الغار

يعود محمد أبو الغار إلى فترة انتشار وباء الانفلونزا الإسبانية في مصر سنة 1918 في مؤلّفه «الوباء الذي قتل 180 ألف مصري – وثائق ومستندات من عامي 1918 -1919» (دار الشروق). من خلال سبعة فصول يظهّر الكاتب المصري العلاقة بين انتشار الوباء حينها وبين ثورة سنة 1919 في مصر جرّاء تدهور الأحوال الصحية والاقتصادية، كما يتوقّف عند تاريخ النظام الصحي في البلاد. يتضمّن المؤلّف بيانات ووثائق بصرية ومقالات نشرت في الصحف الأجنبية لكنها ظلّت غائبة عن الكتابات العربية لفترة طويلة.

رواية

ممدوح عزّام: «لا تخبر الحصان» بكل هذا الأسى!

خليل صويلح

يرسم ممدوح عزام خريطة الجنوب السوري بالبوصلة لا الأمتار، ليضيء عتمة بيئة مهملة بعدسة مقرّبة. وإذا بالمشهد المألوف يكتنز سحراً خفياً، وجاذبية لا تقاوم في زعزعة طمأنينة المكان. في روايته الجديدة «لا تخبر الحصان» (دار ممدوح عدوان) يرصد سيرة الدركي سالم النجّار الذي يصل إلى قريته «دير القرن» بعد انتهاء خدمته في خيّالة الدرك برفقة حصانه الذي كان رمزاً لأمجاده في مطاردة المهرّبين وقطاع الطرق والمجرمين. في غيابه، تكفّلت زوجته سليمة حطاب في ترميم محنة العيش، وإذا بالمسافة تتّسع بينهما لجهة الألفة، إذ ينتصر الأسى على الأشواق، فقد كانت تنتظر هدية مؤجلة منذ عشرين عاماً لا حصاناً يشارك العائلة خيباتها.

ستتقاسم الأم وأولادها رواية السيرة، من دون أن تُتاح للأب حصة في الكلام، عدا ما سيرويه في المضافة عن ذكرياته الأفلة في الدرك، والتي ستتطفئ بانقضاض الضيوف عنه.

ستنخر سليمة من الحصان، وكذلك أولادها، عدا كامل، لكن الأب سيعتني بالحصان أكثر من اعتنائه بأولاده. كما ستنمو ظنون سليمة بوجود امرأة أخرى في حياة زوجها نظراً لغيابه الطويل بعد انتهاء خدمته. يلجأ صاحب «قصر المطر» إلى تقنية تعدد الأصوات، فيتعاقب الأولاد على رسم تضاريس السرد وما آلت إليه مصائرهم المتباينة في جغرافيا محدودة (دير القرن- السويداء) لتتكشف طقوس المكان بعامية تلقّح مفاصل السرد بما ينقصها من دقة الوصف وبلاغة المعنى. يحكي الأبناء عن الأب كما لو أنه رجل غريب عنهم، فيرد باسمه لا بصفته كأب، كما ستنمو البغضاء نحو الحصان الذي أضاف عبئاً ثقيلاً على العائلة. لكن الأب لن يتوقّف عن استعراضاته اليومية بصحبة حصانه، محاولاً إعادة الزمن البهي إلى الوراء من دون جدوى، كما لو أنّنا إزاء صورة موازية تتقاطع مع رواية جنكيز ايتماتوف «وداعاً غولساري» عن حصان رهوان ينتهي بالعجز. وستحضر في الذهن معاناة الحوذي «إيونا» الذي يضطر إلى مخاطبة حصانه عندما لا يلتفت إلى حكاياته ركّاب العربة في قصة أنطون تشيخوف «لمن أشكو كآبتي». لكن حصان سالم النجّار سيبقى صورة أصلية عن بيئته والتحولات التي طرأت على المكان، والأحاسيس المبهمة التي تلمحها في انفعالات الحصان أثناء تعذيبه سرّاً من بعض أفراد العائلة.

يتوغل ممدوح عزام تدريجاً في هتك أسرار العائلة، فرداً فرداً، مزيحاً الغلالة الشفيفة عما يمور في داخل الشخصيات، خصوصاً صورة الأم في مكابداتها الصامتة، وهي ترى انهيار مملكتها ببطء، مانحاً إياها بعداً تراجيدياً استثنائياً: «أحسُّ أنني أسير في أرض مستباحة. فراغ يملكه جمع القادرين المتمكنين الذين يستطيعون طردنا في أيّ وقت. سالم الذي فضّل حصانه عليّ، ثم بنى علاقة مع امرأة غيري حيث كان يخدم، ونمر الذي ينافسه في الاعتداء على وجودنا، فيسرق ابنته من إرادتها. أحس أننا- نحن النساء- وحيدات تماماً، وأن هذه الأرض ليست لنا». سليمة نفسها ستعاقب سالم النجّار برفضها النوم معه وارتداء ما يشبه حزام العفة لمنعه من مباغتة فراشها عنوةً. ستحضر خرائط الجسد بتنويعات مدهشة، وكيفية تفتّح بذرة الحب واندفاعات الغريزة لدى كل فرد في العائلة. بانعطافة مباغتة، يوسّع صاحب «أرواح صخرات العسل» الدائرة التي تحيط شخصياته نحو العاصمة بإشارات خاطفة عن انقلاب عسكري ما، أو حرب تدور في الجوار، كخلفية لوقائع التاريخ المضطرب للبلاد التي انعكست مراياه على هذه الجغرافيا الصغيرة المهملة، مثلما حدث للعمة نجاة التي ستخطف الحرب الرجل الذي قرّرت أن تتزوجه بعد وحدة وعطش طويل وانتظارات لا نهائية، بالإضافة إلى حمّى العنف العشائري التي كانت ستطال الابن فاضل إثر علاقته بأنوار عمران، ومكابدات ابنة العم لميا إثر تزويجها قسراً.

ههنا يذكّرنا ممدوح عزّام مجداً بقدرته على اجتراح العاطفة الأنثوية من عمق الألم، منتصراً لنساء متروكات في مجتمع ذكوري فظ وعنيف. يقول نوفل بعدما اكتشف الطحّان علاقته مع ابنته يمنى «كانت محابر الدم الزرقاء، تبقّع جسدها في الأماكن التي استطعت أن أراها: أسفل العنق، وبطّة الساق، والذراعين. ذُعرت من هذا الفجور المدمّر لراضي الصالح، وبدا أبي، سالم النجّار، مجرد صورة سلبية محفوفة بالمحاة عنه. سالم النجار برّيد يحمل العنف، بينما راضي هو الرسالة ذاتها».

عتبة أخرى في رفع وتيرة المواجهة بين ديكتاتورية الأب الذي بقي دركياً بسوط، وأصوات الأبناء المتناوبة في نسج حزمة الحكي على هيئة مرثية مضادة، كان الحكي هنا ينطوي على ديمقراطية مخذولة في الواقع ومشتهاة في السرد، تعويضاً عن خسائر لا تحصى. هكذا تتصاعد وتيرة الحكي بوصفها مرثية للأفول من جهة، وتطلّع نحو أفق آخر، من جهة ثانية، فلا مناص من تأويل الحكاية نحو ما يقابلها من وقائع راهنة في البلاد. ذلك أن الأمس يحيا في شرايين اليوم بجرعات دامغة، وليس مجرد صور في ألبوم العائلة، أو لغزاً عن ابن مجهول من امرأة بعيدة أتى لاحقاً بصحبة الأب. أحوال الاحتضار تتراكم في مرآة الصمت، وسوف تصيب الجميع بطعنات متفاوتة. سيضطر الأب إلى بيع الحصان وترويضه كي يجرّ العربة، بعدما فتك به ضيق العيش، غير أن هذه الأصفاد التي كبّلته ستتفكك عنوةً، فيما كان سالم النجار يحتضر في فراشه، صاح ابنه كامل بالحصان «اهرب يا صبح». سيفهم الحصان النداء، ويرفس العربة: «صار الآن حرّاً. حرّاً كما لو كان موجوداً في البرّية منذ الأزل». وفقاً للعنوان وإحالته إلى قصيدة محمود درويش، فإن الحصان «يؤنس البيت يا ولدي»، أما زمن الدرك فإلى أفول.

نساء متروكات في مجتمع ذكوري فظ وعنيف

ديوان

خالد بن الصالح: بورتريه لذات أنجبتها المأساة

بول مخلوف

إذا كنت ممن نظّروا للثورات يوماً، ومن ثم انعطف القطار عن مساره وخطّ في حاضر ضبابي مظلم، فستجد تَبِعَة مطبوعاً في كتاب الشاعر الجزائري خالد بن الصالح «يوميات رجل أفريقي يرتدي قميصاً مزهراً ويدخن الـ L&M في زمن الثورة» (منشورات المتوسط). لكَ أن تُطلق العنان لمخيلتك أن ترصد شكل الشخصية المعنيّة لتستنتج عفوياً ماهيتها: رافضة للموروث، لا منتمية، غير آبهة بالبطولات وتحلمُ بالثورة من الطراز العتيق. وفوق هذا كلّه، الموقف الجذري الفذّ الذي سُجِلّ عنوةً، ومفادهُ: أن الشعر يجثم في الممارسة أيضاً وليس خلاصاً جميلاً من سلطةٍ موحشة، إلّا أن فرادته تكمن في قدرته على استعمال الرمزية بالتوازي مع الواقعية وليس على حسابها. هذا التماهي بين الحقيقي والمتخيل خدمة لتصوير ذاتٍ متصدعة تجسدت في أسلوب مشهدي كثيف الحركة والوصف، ما جعل نصّه دراميًا، فائق الحساسية وحقيقياً للغاية: «أواصل المشي في المنام، تطاردني سيارات الأجرة الصفراء، اللافتات التي تسبح أناء الليل وأطراف النهار، الزجاج المتسخ، ماسحات المطر المعطلة، أغاني هذا الإيقاع، يسير بي صالح في كتابته، مولجاً في التفاصيل، منقباً بما هو يوميّ بسيط، معتنقاً إياه كخلاصات شخصيةٍ وجودية»: «هنا الحياة كما في البدء، فقط أدم وحواء والكثير من تهدئ من روعه سيجارة. أما الثاني، فمردّه أن هذه النصوص التي تتخللها سردية نثرية وتمتاز بصوتٍ واحدٍ، نابعة من تجربة حقيقية، فمن البديهي أن تجد التصاقاً تامّاً بين الكاتب ونصّه، ما يحتاج إلى مساحة تعبيرية يُفرضها النَفَس. إذن، يوميات رجل أفريقي هو بورتريه لذاتٍ شيّدها واقع مأساوي، تُفصح عن ذكرياتها وتعيش جولات صراع متتالية مع الزمن وثقافته: «هكذا تدور الأزمنة، وأنا العب بالكلمات كيائس فقدَ طريقه إليك، أنت الواقفة في نقطة جغرافية لا تلين، بيننا نساء وأوطان مدمرة وكراس لا تتحرك من تحتها رمال». على غرار شعراءَ كُثر، استعار بن صالح تشبيه المرآة بالثورة، باعتبارها خلاصاً جميلاً من سلطةٍ موحشة، إلّا أن فرادته تكمن في قدرته على استعمال الرمزية بالتوازي مع الواقعية وليس على حسابها. هذا التماهي بين الحقيقي والمتخيل خدمة لتصوير ذاتٍ متصدعة تجسدت في أسلوب مشهدي كثيف الحركة والوصف، ما جعل نصّه دراميًا، فائق الحساسية وحقيقياً للغاية: «أواصل المشي في المنام، تطاردني سيارات الأجرة الصفراء، اللافتات التي تسبح أناء الليل وأطراف النهار، الزجاج المتسخ، ماسحات المطر المعطلة، أغاني هذا الإيقاع، يسير بي صالح في كتابته، مولجاً في التفاصيل، منقباً بما هو يوميّ بسيط، معتنقاً إياه كخلاصات شخصيةٍ وجودية»: «هنا الحياة كما في البدء، فقط آدم وحواء والكثير من الموروثات المتأصلة في زمن الهدوء أو السلم، فتراه يكشف عن أغواره بحرية ومن دون تكلف «ليس هذا ما أنا عليه فعلاً، أنا رجل عصابة شنيعة، أشرب بقدر الشتائم التي أطلقها كل يوم، أبحث عن امرأة للتمثيل في فيلم بورنو».

وفي السياق نَفسه، تُذهل من كثافة المفردات الحربية، كأنها ذخائر بحوزته متعطشة لتأدية واجبها، يستخدمها لخلخلة الثوابت «جنود يواجهون حائطاً لحظة إعدام» أو «قبل أن ينفجر رأس شاب في أثناء المظاهرة» وزعزعة المألوف (تلك الغيوم المتّسخة تنزل قطرات المطر، لتقرع الخرطوش الفارغ، وبقايا القنابل المسيلة للدموع). أمام لغةٍ كهذه مدججة بمصطلحاتٍ واستعارات صاعقة، أنتَ حتماً على موعد مع الحرب. الحرب كحدثٍ خارجي يجعل منك ملكاً للغضب لا يكرمه عرشه إذا ما أفرط في استعمال الشتيمة (اللعنة على الحرب تستفيق البنت من قبلولتها وقد نسيت درس الموسيقى، كما يستفيق جندي فاقداً للذاكرة). إنه المسار الذي انزاح عن هدفه. الشاعر الذي راى قبح العالم، تحدث عن الكتب، ونَظَر للثورات (كان العالم قبيحاً في الخارج، وكنت أسافر عبر المتوسط من عاصمة إلى أخرى أتحدث عن الكتب)، لكنّ شيئاً ما حدث وأجهض كل هذا الجهد. هذا ما ستفهمهُ لاحقاً، من دون تعريج على المباشر بما يحمل من نعيق أو الدخول في المبتذل، استطاع بن صالح الحفاظ على متانة نصه وفجاجته (لو خرج نصفهم إلى الشارع كما خرجوا بعد نهاية المباراة، لكان لثورتنا شأنٌ آخر)، محمّلاً ثقافة السائد وجماهيرها التي طعنت جهده وكيفية تفتّح بذرة الحب واندفاعات الغريزة لدى كل فرد في العائلة. بانعطافة مباغتة، يوسّع صاحب «أرواح صخرات العسل» الدائرة التي تحيط شخصياته نحو العاصمة بإشارات خاطفة عن انقلاب عسكري ما، أو حرب تدور في الجوار، كخلفية لوقائع التاريخ المضطرب للبلاد التي انعكست مراياه على هذه الجغرافيا الصغيرة المهملة، مثلما حدث للعمة نجاة التي ستخطف الحرب الرجل الذي

لا ملاذ أو تعويض لكل هذا الراهن ولا حتى في الذكريات

الأكاذيب حول تخفيض أسعار الفنادق والتذاكر وظروف التنقل والاستجمام»، ضارباً بعرض الحائط كل القضايا الكبرى والقناعات المعلّبة الجاهزة: «في لعبة كرة القدم، تموت آلهة كثيرة، ويُحال أنبياء مزيفون على التقاعد، وفي لعبة كرة القدم، تُنمو الأنظمة الشمولية في الظلّ، وتعرّش وتُفرخ أيضاً قبل أن يداهمها ضوء أولى ساعات الفجر». كان كتابة الشعر عند بن صالح مجال انتقامي بحت، ساحة معركة شرسة مفتوحة، يشّن فيها الشاعر حروبه الخاصة على القواعد العامة، على كل الإخفاقات والهزائم وتركته يخصد وطأة الهزيمة ويعتريه حسّ الغياب حد الاختناق: «لا يدري أين ومتى سيعثر على الكلمة المناسبة، تلك الجملة التي تخطف أنفاسه فجأة، كما لو أنها حشرجة ما قبل الموت».

لا ملاذ أو تعويض لكل هذا الراهن ولا حتى في الذكريات. لا تلعب الذاكرة عند بن صالح دور العزاء، أو محركاً للحنين، بل تفصح عن الشلل العميق المتجذر الذي يصيبه «الذكريات ثقيلة كحقائب، تقوّس الظهر». إنه الزمن الذي لا يتغير، ساعة توقفت عن العمل، ماض تعيس يكرر نفسه في حاضرٍ قاتم: «ثمة أنت، وثمة أنا بجرح طفيف في الذاكرة حوله ذباب كثير». وما الأمل سوى محاولات واهنة لا تشفي شيئاً من كل هذا العجز: «النجاة كذبة، الموت غير تام، طبقة خفيفة من الغبار تعلو أسماءنا، على ورقة حفظ الجثث، فوق طاولة باردة». في رسالة أشبه بمونولوغ داخلي، يُخاطب بن صالح الشاعر كيتس، مستعيناً باقتباس من فرانز رايت وصفتْهُ به صديقته «أحد جرذان الأرض التي تتصرف/ كما لو أنها تملك المكان». ليس الجرذ سوى مخرّب خطير لا يحترم قوانين الأماكن. إنها المهمة التي أنجزها بن صالح في الشعر. لكن ما هي تلك الثورة التي كان يحلم فيها أصلاً وينظّر لها قبل أن يقع كل هذا الخراب وتنهش روحه كل تلك الخسائر؟ إنها جملة واحدة خارقة تعادل لغة بن صالح العنيفة وذاته الرافضة قطعاً، من مانيفستو لم يُنجز بعد: «خرجتُ في مظاهرة بصدر عارٍ، أحمل لافتة ضدي»، وربما أنجز ولَم تحْبَذه الجماهير.

أوراق

نحت حثي يصور كائناً نصفه حمار ونصفه حية

فلمَ ربض العير، إذن؟

زكريا محمد *

العنوان أعلاه (فلم ربض العير، إذن؟) مثلٌ جاهلي شهير «يضرب للشيء فيه علامة تدل على غير ما يقال لك» (الميداني، مجمع الأمثال). وقائله عند الغالبية الساحقة هو الشاعر أفنون التغلبي. وحسب رواية، فقد استشهد به امرؤ القيس عند اقتراب موته: «قاله امرؤ القيس لما ألبسه قيصر الثياب المسمومة وخرج من عنده، وتلقاه عير فربض، فتفاءل «= تشاءم» امرؤ القيس، فقيل: لا بأس عليك. قال: فلم ربض العير إذن؟ أي أنا ميت» (الميداني، مجمع الأمثال).

يضيف الزمخشري مفصلاً: «تلقى امرأ القيس حين ألبسه قيصر الحلة المسمومة عيرٌ فربض، فتطير منه، فقيل له: لا بأس عليك، فقال ذلك. يضرب في شيء تسمعه وأنت ترى ما يدلك على خلافه. وأصله أن صريم بن معشر التغلبي، الملقب بأفنون، أخبره بعض الكهان بأنه يموت بمكان يقال له «ألاهة». فأتى على ذلك ما شاء الله. ثم خرج في ناس من قومه يريدون الشام، فضلّوا الطريق، فدلهم رجل فقال لهم: خذوا على مكان كذا وكذا حتى إذا استقبلتكم قارة يقال لها ألاهة فاجعلوها على اليسار فإنكم على الطريق. فلما سمع أفنون بألاهة تذكر قول الكاهن. فلما أتوا ألاهة، نزل القوم ليلاً فلم ينزل أفنون عن حماره، فربض الحمار، فلدغته أفعى، فجزع أفنون وقال: الموت والله، فقال له القوم: لا بأس عليك يا صريم، فقال: فلم ربض العير إذا؟! فأرسلها مثلاً، ومات» (الزمخشري، المستقصى). ويقال إن أفنوناً أنشد عندما أحس بالموت هذين البيتين:

كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة
وأترك في جنب الألهة ثاويا

وهناك من ينسب قصة تشبه قصة المثل إلى العاصي بن وائل السهمي، الذي يقال إنه هو من وصف الرسول بأنه أبتر، فردت عليه الآية القرآنية بالقول: «إن شانئك هو الأبتر»:

«ركب حماراً له، ويقال بغلة بيضاء، فلما نزل شعباً من تلك الشعاب وهو يريد الطائف ربض به الحمار أو البغلة على [نبتة] شبرقة، فأصابت رجله شوكة منها، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ومات. ويقال إنه لما ربض به حماره أو البغلة لدغ فمات مكانه» (شمس الدين الشامي، سبل الهدى).

وفي كل هذه النسخ من القصة، فإن العنصر المركزي هو «ربضة» العير- الحمار. فحين يربض العير يحل الموت. هكذا الحال في كل الروايات. ما دام الحمار سائراً، فليس هناك موت. لكن حين يربض يطل الموت برأسه.

وبهذا، يبدو كأن الحمار مركب للموت في نهاية المطاف. يؤيد هذه الحقيقة أن المسيح دخل القدس على ظهر حمار، أو على جحش ابن اتان كما يقول النص، واستقبل هناك كملك، لكن هذا كان في الحقيقة مقدّمة صلبه. أي أن الحمار حمل المسيح للصلب والموت. صحيح أنه موت ملكي، لكنه موت في النهاية.

ويبدو أن هذه الحقيقة تتأكد أيضاً في قصة بلعام بن باعور الغامضة في سفر العدد. فحين كان بلعام في طريقه إلى بالاق المؤابي، كان يركب أتاناً، ثم:

«مالت الأتان عن الطريق ومشت في الحقل. فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق. ثم وقف ملاك الرب في خندق للكروم، له حائط من هنا وحائط من هناك. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط، وضغطت رجل بلعام بالحائط، فضربها أيضاً. ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب، ربضت تحت بلعام. فحمي غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب» (سفر العدد 22: 23-25).

وكما نرى، فالنقطة المركزية في النص هي ربضة الأتان: «فلما أبصرت الأتان ملاك الرب، ربضت تحت بلعام». وقد فهم بلعام أن هذا يعني الموت. من أجل هذا حمي غضبه على أتانه التي ربضت. ويبدو أن ملاك الرب في القصة هو ملاك الموت. ويؤيد أن الأمر يتعلق بالموت هو أن هذا الملاك الذي غضب على بلعام لأنه ضرب الأتان تحدث عن الموت والقتل: «فقال له ملاك الربّ: «لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات؟ هأنذا قد خرجت للمقاومة... فأبصرتني الأتان ومالت من قدّامي الآن ثلاث دفعات. ولو لم تمل من قدّامي لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها» (سفر العدد 22: 33-34). غير أن بلعام لم يمت بعدما ربضت الأتان لأن ملاك الرب كان هناك، وأجل الأمر. لقد أدّب بلعام وأذعره، لكنه أجل الموت.

بناء عليه، يمكن القول إن الحمار مركب الموت، وأنه على الأخص مركب موت الآلهة والأنبياء. ولعل هذا جذر كره الحمار في ثقافتنا. فهو تذكير دائم بالموت.

هذا بخصوص الحمار وربضته. أما بخصوص الحية التي لدغت أفنون والعاصي السهمي، فيمكن تفسير وجودها بسهولة. فالحية والحمار يتبادلان المواقع ميثولوجياً. فهما معاً يمثلان الموت. لذا جمعت قصة أفنون والعاصي الحمار والحية معاً. ولدينا نحت حثي يصور كائناً نصفه حمار ونصفه حية. وهو يؤكد تماثل الحية والحمار ميثولوجياً.

والحية هنا رمز للسبات والموت. فهي كائن له سباته الشتوي، أي موته الفصلي عملياً. وبعض الآلهة لها أيضاً فصل نوم وسبات. لذا فهي تشبه الأفاعي. وحين يأتي وقت سباتها تتحول إلى أفعى، وتدخل سباتها الطويل، أو تلدغها أفعى، لا فرق، وتغرق في نومها- موتها.

> الحمار مركب الموت، وهو على الأخص مركب موت الآلهة والأنبياء

والحال، فإن لقب الشاعر الجاعلي «أفنون»، الذي يبدو كشخصية دينية، أو كشخصية لها صبغة ميثولوجية، يشير إلى الحية: «الأفنون الحية» (لسان العرب). بالتالي، فهو حية. لم تلدغه حية فقط، بل إنه هو ذاته حية.

وعند اليونانيين مثل هذا أيضاً. فإن كنوبوس، أي سهيل اليماني، لدغته أفعى فمات. ولدغه من قبل الحية يعني أن هذا النجم- الإله دخل في فصل قراره وسباته، أي موته.

* حمار العزير

في كل حال، فإن الحمار رمز للموت في قصة العزير في القرآن أيضاً. فقد نام العزير مع حماره مائة عام. أي دخل في سباته الطويل الذي يشبه بيات الحية. وفي إنجيل يوحنا، نرى كيف أن لا فرق بين نوم لعازر الذي هو العزير العربي، وموته: «وبعد ذلك قال لهم [أي المسيح]: «لعازر حبيبنا قد نام. لكنّي أذهب لأوقظه». فقال تلاميذه: «إن كان قد نام فهو يشفى». وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنّوا أنّه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذٍ علانية: «لعازر مات» (يوحنا 11: 11-14).

عليه، فليس وجود الحمار في قصة العزير مصادفة. فهو رمز الموت، كما أنه هو الذي أخذ في ما يبدو العزير إلى الموت.

يؤيد هذا أن الجذر (عزر) الذي أتى منه الاسم «عزير» يشير إلى الحمير: «عزَرْتُ الحِمارَ: أَوْقَرْته» (لسان العرب). وأوقرته تعني: «حمّلته. الوِقْرُ بالكسر: الثِّقْلُ يحمل على ظهر أَو على رأْس... وقيل: الوِقْرُ الحِمْل الثقيل، وعَمَّ بعضهم به الثَّقيل والخفيف... وأَكثر ما استعمل الوِقْرُ في حِمل البغل والحمار والوَسْقُ في حمل البعير» (لسان العرب). بالتالي، فلا فرق كبيراً بين النبي- الإله وبين الحمار. فكلاهما من جذر واحد. فوق ذلك، فإن التوقير أيضاً يعني التعظيم. كما أن التعزير أيضاً يعني التعظيم والتأديب: «التَّعْزِير: التعظيم والتوقير. والتعزير أيضاً: التأديب؛ ومنه سمِّي الضرب دون الحدّ تَعْزيراً. وعَزَّرْتُ الحمار: أَوْقَرْتُه» (الزبيدي، تاج العروس). بذا، فالجذران يشيران إلى معنيين متضادين: إلى الموت والحياة، إلى التأديب والتعزيز.

وأخيراً لنعد إلى الحية من جديد. فقد ذهب المسيح إلى الصلب والموت على ظهر حمار. لكن أين هي الحية في قصته؟ يمكن لنا أن نجد هذه الحية في سفر لوقا، حيث وصف يوحنا المعمدان جمهور المؤمنين به، أي بالمسيح عملياً، بأنهم: أولاد الحيات: «وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (لوقا 3: 7-8).

أولاد الأفاعي هنا ليست شتيمة بل وصف ميثولوجي. لهذا وردت في وصف جمهور المؤمنين بالمعمدان الذي جاء للتعمد على يديه، أي جمهور المسيح. ذلك أن الإله الذي يتم الحديث عنه هنا، أي إله إبراهيم، إله مرتبط بالحية. بل هو حية بالفعل. فالآلهة الشماليون يتبدون دوماً كحيات. وإله يوحنا والمسيح من هذا الطراز. يؤيد هذا الجملة التي وردت في يوحنا: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان» (يوحنا 3: 14). ابن الإنسان هنا، الذي هو المسيح، سيُرفع إلى السماء كما رفعت الحية. فالرفع هنا يعني الموت والانتقال إلى السماء. بالتالي، فأولاد الأفاعي هم أولاد إبراهيم. وهذا يعني أن أولاد إبراهيم هم رمزياً ثعابين وحيات، لأن إله إبراهيم مرتبط بالأفاعي والحيات. بذا، فالمسيح الذي ذهب إلى الموت على ظهر حمار هو أيضاً حية بشكل ما.

* شاعر فلسطيني